

ذريعة العطاء ، دريئة القضاء

تحقيقات ورد شبه فى الدعاء ، القضاء والقدر ، انتظمت

أسماء الله الحسنى ، الأسم الأعظم ، واختتمت بأن القرآن الكريم

نصاب كامل للعبادة والدعاء

حسن عبد اللطيف عزام

[illegible]



تحقيقات ورد شُبَه فى الدعاء ، القضاء والقدر ، انتظمت
أسماء الله الحسنى ، الاسم الأعظم ، واختتمت بأن القرآن الكريم
نصاب كامل للعبادة والدعاء

حسن عبد اللطيف عزام

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التأليف

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه الهداه .

وبعد فالدعاء من سنن الإسلام ، وحقيقته إظهار الافتقار إلى الله تعالى ، واعتراف العبد بالبراءة من حوله وقوته ، وهو سمة العبودية ، ومظهر الذلة البشرية ، وفيه معنى الثناء على الله تعالى ، وإضافة القوة والجود والكرم إليه .

والنفس البشرية بمقتضى جوهرها ، مجبولة على حب اللذات الجسمانية ، والأعراض العاجلة ، أما إقبالها على الله بالكلية ، وبدون نظر إلى مراداتها فعلى خلاف فطرتها وعادتها .

والحاجة اللذاعة بقلب المرء توجهه إلى مناجاة ربه ، وتجعل جلاله حاضراً بين عينيه ، وتصرف همته إليه ، فتلك الحالة غنيمة يغتنمها الداعى .

وإنه وإن كانت ذريعة الدعاء الرغبة فى خيرى الدنيا والآخرة ، فأنه يملأ القوى الفكرية بملاحظة جلال الرب وعظمته ، والدعاء الذى تطلب به الأعراض الدنيوية عبادة ، ترجع فائدتها إلى الداعى ، والدعاء الذى تقبل به على الله بالكلية ، ولا تطلب به عرضا دنيويا — بل يكون فيه الداعى بين خوف من عذاب الله ورجاء لرحمته — ترجع فائدته إلى الداعى أيضاً ، وهى النجاة من النار والفوز بالجنة . قال تعالى : (أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائماً يحذر الآخرة) يخاف عذابها (ويرجو رحمة ربه) جنته .

أما الذين قالوا إنهم يعبدون الله لذاته فقط — والله تعالى أحق من يعبد

لذاته — لا لطمع فى الجنة ولا لخوف من النار ، فيكفى أن تكون صاحبة مذهبهم رابعة العدوية ، ونصوص القرآن تجافى ذلك المذهب ، وتشهد بالخوف والرجاء ، كما تشهد بمحبة الله لذاته التى لا تشبهها ذات ، وصفاته العليا التى لا يتصف بها غيره ، من قوة وعظمة وجود ورحمة ، فمحبة الله والثناء عليه ناشئة من رحمته بعباده ، وجوده ومنّه عليهم بالنعم ، ودفع شرور الدنيا عنهم .

فالدعاء بقسميه نصاب تام من العبادة ، سواء أكان للرغبة فى خيرى الدنيا والآخرة والعياذ بالله من شرورهما ، أم كان لملء القوى الفكرية والقلبية بملاحظة جلال الله وعظمته ، فأن أصل العبادة الاستغراق فى الحضور أمام عظمة الله تعالى .

والهمة الحثيثة لاستنزال الرحمة ، مؤثرة فى النفس أشد مما تؤثر العبادة ، وتأكد النفس من إجابة طلبها بالدعاء ، يقرع باب جود الله ورحمته ، ويكون بمثابة مقدمة لفيضان كرمه .

بسم الله الرحمن الرحيم

الدعاء والعلم

قال العلماء لكل نفس من النفوس البشرية روح من الأرواح الفلكية ، والأرواح الفلكية آباء وسادة للأرواح البشرية ، وإذا صفت النفس البشرية من العلائق الجسدانية ثم بالغت فى الدعاء والتضرع انجذبت إلى الروح الفلكى الذى هو الأصل والمنبع ، وبسبب ذلك الانجذاب والاتصال تحصل فى جوهر النفس قوة وقدرة وسلاطة على هيولى العالم الأسفل ، وحينئذ تحصل آثار عجيبة وأحوال غريبة بوساطة الدعاء .

وقال العلماء : إن الداعى إذا اعتقد أن له فى الدعاء غرضاً محبوباً تتوجه نفسه إلى جانب جلال الله ، لأجل أن يحصل ذلك الغرض ويصر ويلح فى الدعاء ، وذلك الأصرار والالحاح يوجب استغراق النفس فى الاقرار بكمال قدرة الله ونفاذ مشيئته فى جميع أجزاء العالم الأعلى والأسفل ، فبهذا الطريق تحصل للنفس سعادة ، وكلما كانت المواظبة على هذه الطريقة أكثر كان الانقطاع عن العالم الأسفل أكثر ، والانجذاب الى العالم العلوى أتم ، ولا شك أن لهذه الحالة منفعة عظيمة فى الأشتغال بالدعاء (أى فى الاشتغال بالدعاء كسبب لحصول المطلوب) .

وقالوا : أنه لايمتنع أن يكون تكييف نفس الداعى بالكيفية الحاصلة عند الدعاء شرطا لفيضان التأثير من الروح العالى ، فعند حصول تلك الكيفية النفسية يحصل التأثير من القوة العالية الفاعلة القادرة ،

وقالوا : لا يمتنع أن يقال : أن نفس الداعى عند الاستغراق فى الدعاء

يحصل فيها نور من أنوار عالم الغيب ، وأثر من آثار روح الله ، وحينئذ يقوى جوهر النفس البشرية ويحصل لها استعلاء فى تلك الحالة ، وبوساطة تلك القوة يحصل الحادث المطلوب .

دعاء الجمع العظيم

قال العلماء : إن اجتماع الجمع العظيم على الدعاء الواحد ، فى المقصود الواحد له تأثير أقوى من تأثير الشخص الواحد بالدعاء الواحد ، لأنه عند الاجتماع تنضم المؤثرات الكثيرة ، بعضها إلى بعض ، فيكون التأثير أشد وأقوى لامحالة ، وقد ضرب العلماء لذلك مثلا فقالوا : ان القرانات (أى اجتماع الكواكب) مرتبة على أربع مراتب : القران الأصغر ، والقران الأوسط ، والقران الأكبر ، والقران الأعظم ، والسبب فى تفاوت هذه القرانات فى الفعل ، أنه كلما كانت الكواكب أكثر ، وكان قرب بعضها من بعض أتم ، كان التأثير أقوى ، ولهذا السبب جعلت الشريعة ترتيب الاجتماعات على أربع مراتب ، فأولها أداء الصلوات الخمس فى جماعة ، لأن القوم إذا اجتمعوا للصلاة حصلت من من تلك الجمعية آثار لا تحصل عند الانفراد ، وثانيها صلاة الجمعة فى جماعة ، فأن الجمعية فيها أتم وأكثر ، فلا جرم أن تكون قوتها أكمل وأتم ، وثالثها صلاة العيد ، والجمعية فيها أعظم وأتم من صلاة الجمعة ، ورابعها القران الأعظم ، وهو اجتماع المسلمين فى موقف الحج ، فأن الجمع العظيم من أهل المشرق والمغرب يوجهون أفكارهم وأذهانهم الى استنزال الرحمة وطلب المغفرة من الله عز وجل ، فلا جرم أنه يحصل فى هذا من التأثير ، ما لا يحصل فيما سبق من الاجتماعات الثلاثة اهـ من المطالب العالية للفخر الرازى .

الدعاء والدين

قال الجمهور الأعظم من العلماء والعقلاء : أن الدعاء أعظم مقامات العبادة ،

وقد أمرنا به ، وغضب الله على من لم يتضرع إليه ويسأله عند النوازل والكوارث ، واستدلوا على ذلك بما يأتى :-

(١) قال ﷺ : (الدعاء هو العبادة) ثم تلا قوله تعالى : (وقال ربكم ادعونى استجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين) أى صاغرين . وهذا يقتضى أن الدعاء أعلى أنواع العبادة وأرفعها ، وإلى هذا يشير الحديث الشريف (الدعاء مُخ العبادة) فمن عرف مكان المُخ من الجسم الانسانى ، عرف مرتبة الدعاء بالنسبة للعبادة ، وكما أن الآية دلت على وجوب الدعاء أنذرت المستكبرين عن الدعاء بدخولهم جهنم صاغرين .

فأن قيل إن ادعونى فى قوله تعالى (ادعونى استجب لكم) بمعنى اعبدونى أتقبل عبادتكم . فأن بقية الآية : (إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين) تصرف معنى قوله تعالى : (ادعونى استجب لكم) إلى اعبدونى أتقبل عبادتكم ، ولا يحتمل المعنى اسألونى أعطكم .

يقال : إن الذين يستكبرون عن عبادة الله سيدخلون جهنم صاغرين قطعاً ، ولكن يقال : أن الدعاء بمعنى السؤال هو العبادة ، أو هو مُخ العبادة كما سيأتى ، فالذين لا يسألون الله تكبراً سيدخلون جهنم صاغرين قطعاً ، لأن الله يحب من يسأله ، ويغضب على من لا يسأله ، ويزيد هذا وضوحاً : أن الصلاة بمعنى السؤال فى الحديث القدسى الشريف : (قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين ولعبدى ما سأل ، فإذا قال العبد الحمد لله رب العالمين ، قال الله حمدنى عبدى ، وإذا قال الرحمن الرحيم ، قال الله أثنى علىّ عبدى ، وإذا قال مالك يوم الدين ، قال الله مجدنى عبدى ، وإذا قال إياك نعبد وإياك نستعين ، قال هذا بينى وبين عبدى ، ولعبدى ما سأل ، وإذا قال أهدنا الصراط

المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ، قال هذا لعبدى ولعبدى ما سأل) .

ففاتحة الكتاب حمد وثناء وتمجيد ودعاء ، كما هو منطوق الحديث القدسى ، ومعنى الصلاة فى الحديث : أم الكتاب التى لا صلاة بدونها ، ومضمون أم الكتاب : التحميد والثناء والتمجيد والدعاء ، ولهذا أصل فى اللغة قال الفيروزابادى : صلى : دعا والصلاة الدعاء والرحمة والاستغفار . . . الخ .

وبيان قسمة الصلاة التى هى الفاتحة نصفين ، أنها سبع آيات ، والثلاث الأولى منها فى حمد الله والثناء عليه وتمجيده ، فهى عبادة خالصة لله ، والآية الوسطى : (أياك نعبد وإياك نستعين) بين العبد وبين ربه ، فقد خص العبد فيها ربه بالعبادة ، وسأله فيها العون على خيرى الدنيا والآخرة ، والآيات الثلاث الأخيرة قسم العبد ونصيبه ، طلب بها من ربه أن يهديه الصراط المستقيم: دين الاسلام الذى من تمسك به فاز بخيرى الدنيا والآخرة .

وإن قيل (ادعونى استجب لكم) وعد من الله يلزم الوفاء به ، ولا يجوز وقوع الخلف فيه ، ثم إننا نرى الداعى يدعو فلا يستجاب له فالجواب على هذا ننقله عن الفخر الرازى وهو : إنه وإن كانت الاستجابة فى هذه الآية مطلقة ، إلا أنها مقيدة بما يوافق أصلا من أصول الدين اه وأرجح أنه يقصد بذلك رحمة الله : إنما يستجاب من الدعاء ما وافق القضاء .

والداعى يعوض من دعائه عوضا مّا ، وربما كان العوض من دعائه هو إسعافه بمطلوبه الذى دعا من أجله ، وذلك إذا وافق الدعاء القضاء ، فإذا لم يوافق الدعاء القضاء ، فأن السائل يعطى سكينة فى نفسه ، وانشراحا فى صدره ، وصبراً يسهل عليه ما أصابه ، وقد يدخر الله له ثواب الدعاء للآخرة .

فقد روى أبو هريرة رضى الله عنه ، أن النبى ﷺ قال : (ما من مؤمن

ينصب وجهه لله يسأله مسألة إلا أعطاه إياها، إما عجلها له فى الدنيا وإما أخرها له فى الآخرة).

وقد يقبل الدعاء ويؤخر أعطاء المسئول، إما لأنه لم يأت الوقت المقدر للإعطاء، فلكل شيء أجل فى الأزل، وإما لأن الله تعالى يحب الإلحاح والمبالغة فى الدعاء، فيؤخر الإجابة ليلح الداعي ويبالغ فى الدعاء، وإما لأن الله يصرف عن الداعى سوء بمثل دعائه، وإما لأن الله يؤخر العطاء ليعطى السائل ثوابا فى الآخرة، وفى الترغيب والترهيب للمنذرى: أن رسول الله ﷺ قال: (ما من مسلم يدعو الله بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم، إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن يعجل له دعوته، وإما أن يؤخرها فى الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها) وفى رواية (وإما أن يكفر عنه من الذنوب بقدر ما دعا) وقال ﷺ: (إن ربكم حيي كريم يستحيي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفرا). صفرا: خاليتين.

ولا بد للداعى أن يعتقد صدق رسول الله ﷺ، فى هذه الأحاديث، لكن ينبغى أن يتنبه إلى أن الحديث لا يوجب القطع بأن دعوته مستجابة، بل يعتقد عدم رد يديه صفرا بغير شيء، من قضاء حاجته أو ثواب.

(٢) زيادة على أن الله أمرنا بالدعاء، فأنه يغضب على من لا يسأله من عباده. قال عليه الصلاة والسلام: (من لم يسأل الله يغضب عليه) فتأكد وجوب الدعاء بهذا الحديث، لأن تجنب ما يغضب الله منه، لا خلاف فى وجوبه، ولقد أخذ الله أمما بالفقر والمرض ليتضرعوا إليه ولكن قست قلوبهم فأهلكهم ولو أنهم تضرعوا لنجوا. قال ﷺ: (لاتعجزوا فى الدعاء فأنه لن يهلك مع الدعاء أحد).

وهذه خمس آيات من سورة الأنعام ترشدنا إلى وجوب السؤال حين

الشدة ، لينجى الله عباده مما يكرهون وترشدنا إلى عدم ترك التضرع إلى الله نسياناً أو قسوة قلب ، وإلا حل عليهم غضبه وعذابه .

والآية الأولى منها تدل على أن يدعون بمعنى يسألون . قال تعالى : (قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين) معنى : (أغير الله تدعون) أغير الله تسألون كشف الضر .

والثانية منها تدل على أن الله وحده هو المسئول أن يكشف الضر ، وأن الأصنام التى أشركت بها الأمم لا تملك من الله شيئاً ، ويُنسى ذكرها وقت الشدة . قال تعالى : (بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتنسون ما تشركون) .

والثالثة تدل على أن أمما قبل النبى ﷺ كذبت الرسل فأخذ الله هذه الأمم بالبأساء والضراء : الفقر والمرض ، لعلها تتضرع إليه فيكشف عنها ما حل بها من الضر . قال تعالى : (ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون) .

والرابعة تدل على أن هذه الأمم لم تتضرع إلى الله ليكشف عنها الضر ، ولكن قست قلوبهم . قال تعالى : (فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون) .

والخامسة تدل على أن الله لم يهلك هذه الأمم ، إلا بعد أن نسوا ماذكروا به من البأساء والضراء ، وتمادوا فى الكفر ، ولم يرجعوا إلى الحق مع قيام الموجب للرجوع إليه ، ولم يتضرعوا إلى الله أن يكشف عنهم الضر ، كما تدل على أن الله استدرجهم بالنعم ، بعد الإصرار على الكفر ، وعلى أنهم لما فرحوا بالنعم ، أخذهم العذاب فجأة ، فإذاهم آيسون من كل خير . قال تعالى :

(فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذاهم مبلسون) مبلسون آيسون من الخير .

ولو أن القوم أقروا بالعبودية لله ، وتضرعوا إليـــه أن يكشف عنهم ما حل بهم من الضر لفازوا بأجابة دعائهم ، والآيات الخمس ترشدنا ، أنه إذا أصيب العبد بشدة فى الدنيا ، مثل الفقر والمرض ، وجب عليه أن يلجأ الى الله ويتضرع إليـه فى زوال هذه الشدة ، كما ترشدنا إلى أن العبد إذا رأى أهوال القيامة وعذابها ، دعا الله لينجو من هذه الأهوال وهذا العذاب ، وإلى أن العباد ينسون عند الشدائد ، كل من كانوا يدعونه من دون الله من الأصنام ، ولا يجدون أمامهم مغيثا ولا منقذا حقيقيا غير الله ، الذى إن شاء كشف عنهم الضر والعـــذاب فى الدنيا والآخرة ، كما ترشدنا هـذه الآيات بمجموعها أن الله يأخذ بالبأساء والضراء كل من اجترأ عليـه وتكبر على الإيمان به والتضرع اليه .

فإذا أتت العبد المؤمن شدة وتضرع إلى الله أن يكشف عنه السوء عمل ما عليه ، وعلى الله أن يجيب الدعاء ، واذا قسى قلب الكافر ولم ترجعه الشدة الى ربه ، استدرجه بالنعم ، ثم أخذه بالعـــذاب فجأة ، فإذا هو يائس من النجاة .

(٣) الدعاء يرد القضاء . قال ﷺ : (لا يرد القضاء إلا الدعاء ولا يزيد فى العمر إلا البر وإن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه) . قال الإمام الشوكانى : هذا الحديث دلالة على أن الله يدفع بالدعاء ما قد قضاه على العبد أزلا ، وقد وردت الأحاديث الكثيرة يؤيدها قوله تعالى: (يمحو الله ما شاء ويثبت وعنده أم الكتاب) وهذه المسألة من المعارك لاختلاف الأدلة فيها من الكتاب والسنة اهـ وفى رسالتى : (الليلة المباركة) التى وضعتها فى ليلة النصف من شعبان وليلة القدر ما هو أوسع من هذا .

وقال الإمام الشوكانى : بحث نفيس فى أن الدعاء يرد القضاء . إن الدعاء من قدر الله عز وجل فقد يقضى الله على عبده قضاء مقيداً بأن لا يدعوه فأن دعاه اندفع عنه القضاء . والحديث : (لا يرد القضاء إلا الدعاء . . .) الخ . نص فى هذا الموضوع ، كما أن فيه دلالة على أن مايصدق عليه البر من عمل الخير يزيد فى العمر ، وقد ثبت فى الصحيح من الأحاديث أن صلة الرحم تزيد فى العمر ، والمراد بالزيادة الزيادة الحقيقية ا ه .

ويدل على نقص العمر والزيادة فيه قوله تعالى : (وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا فى كتاب) فعلى قول فى تفسير هذه الآية ، إن الزيادة والنقصان فى عمر شخص واحد باعتبار أسباب أثبتت فى اللوح المحفوظ ، مثل إن حج فلان أو بر بأهله فعمره ستون سنة وإلا فعمره أربعون ، والكتاب علم الله أو اللوح المحفوظ أو الصحيفة . ا ه بيضاوى .

وأقول أن علم الله لاتبديل فيه لكمال حكمة العالم المريد ، وإن التغيير فى غير علم الله من الكتب والصحف ، حتى يتمحض علم الله القديم وتتمحض حكمته القديمة .

وقال الدهلوى فى حجة الله البالغة : معلقاً على الحديث (لا يرد القضاء الا الدعاء . . .) الخ . إن القضاء هنا الصورة التى خلقها الله فى عالم المثال ، والتى هى سبب وجود الحادث فى الكون ، والقضاء بمثابة سائرة المخلوقات يقبل المحو والاثبات . قال عليه الصلاة والسلام : (إن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل) وأقول الدعاء إذا عالج ما لم ينزل من القضاء اضمحل ولم ينعقد سببا لوجود الحادث فى الأرض ، وإن عالج النازل ظهرت رحمة الله هناك فى صورة تخفيف وطأة الحادث ، وأيناس وحشته . اه دهلوى .

(٤) قال ﷺ : (الدعاء مخ العبادة) وعن النعمان بن بشير أن النبى ﷺ

قال : (الدعاء هى العبادة) وقرأ قوله تعالى : (وقال ربكم ادعونى استجب لكم) وتأنيث الدعاء على نية الدعوة والمسألة ، ومعنى الدعاء هى العبادة : أن الدعاء معظم العبادة .

(٥) الدعاء سلاح المؤمن . روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ، أن النبى ﷺ قال : (ألا أدلكم على ما ينجيكم من عدوكم ، ويدر لكم أرزاقكم ، تدعون الله فى ليلكم ونهاركم ، فإن الدعاء سلاح المؤمن) فالدعاء ترد به جيوش الأقدار ، كما أن السلاح ترد به جيوش الأعداء .

(٦) قال الغزالى فى الأحياء : إن قيل ما فائدة الدعاء والقضاء لا مرد له ، يقال : إن من جملة القضاء كون الدعاء سببا لرد البلاء واستجلاب الرحمة ، والدعاء كالترس ، وإن ما كان لرد السهم لم يكن حمله مناقضا للاعتراف بالقضاء ، فكذلك الدعاء . فقد قدر الله الأمر وقدر سببه اه .

(٧) قال تعالى : (ادعوا ربكم تضرعا وخفية) وقال تعالى : (وأيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم) وقال تعالى : (قل مايعبأ بكم ربى لولا دعاؤكم) فما أعظم دلالة هذه الآية الأخيرة على أن الدعاء يرضى الرب ، ويقرب إليه العبد ، فهى تفيد أن الخلق هينون على الله لولا دعاؤهم ، فإذا دعوه أحبهم ورضى عنهم ، وأظلتهم سحائب رحمته ، وصرف عنهم العذاب والخزى والهوان والآيات فى هذا الباب كثيرة .

فمن قال إن الدعاء الصلاة والعبادة فقط ، ونفى المسألة والطلب من الله بالدعاء ، وقال إن معنى الاستجابة قبول العبادة فقط ، ونفى أن الاستجابة بمعنى قضاء الحاجة ، فقد طعن فى القرآن الكريم وأبطله ، ولم يفهم البسيط من معنى قوله تعالى : (وأيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين

فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر) ومن البسيط أن الاستجابة فى هـذه الآية كانت بكشف الضر ، ولم تكن بتقبل العبادة المؤقتة شرعا .

(٨) قُرب الله تعالى من العبد وقت الدعاء . قال تعالى : (وإذا سـألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداعى إذا دعان) فكأن الله تعالى يقول: عبدى لا واسطة بينى وبينك فى مقام الدعاء ، فأنت العبد المحتـاج ، وأنا الرب الغنى ، فإذا دعوتنى أجبتك ، وإذا سألتنى أعطيتك ، وفى هـذه الآيه لطائف تدل على الاتصال الوثيق بين العبد وبين ربه فى مقام الدعاء . فمن هذه اللطائف أنه كلما ورد لفظ السؤال فى القرآن جاء عقبه لفظ (قل) . مثـل قوله تعالى : (ويسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول) . وقوله تعالى :(ويسألونك عن المحيض قل هو أذى) وفى موضع الدعاء ترك لفظ (قل) . فقال تعالى : (وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب . . .) ألخ . ولم يقل (فقل) لهم إنى قريب ، لأنه لا وساطة بين المرء وبين ربه فى مقام الدعاء .

ومن هذه اللطـائف إن لفظ (عبـادى) يدل على أن العبد لله ، ولفظ : (فإنى قريب) يدل على أن الرب مسعف للعبد ومعين له ، ومنهـا أن الله لم يقل : العبد قريب منى بعد أن قال : (فإنى قريب) أى قريب من العبد ، لأن العبد فى مركز العدم ، وحضيض الفناء ، فكيف يكون قريبا ؟ إن القريب هو الله سبحانه وتعالى ، والعبد لا يمكنه أن يقرب من الله تعالى ، ولكن الله بفضله وكرمه يقرب إحسـانه من العبد ، فقوله تعالى : (فإنى قريب) أى قريب الإجابة والإحسان وقت الدعاء ، ومنهـا أن الداعى مادام مشغولا بغير الله تعـالى ، لا يكون دعاؤه خالصاً لوجهه ، فإن فنى وتجرد عن الكل ، وصـار مستغرقا فى معرفة الأحد الحق ، امتنع أن يكون بينه وبين الحق واسطة ، وهذا معنى القرب من الله .

(٩) قد كرم الله هذه الأمة الاسلامية ، فأمرها بدعائه بلا واسطة ، أما بنو إسرائيل فقد قالوا : (يا موسى ادع لنا ربك) فجعلوا بينهم وبين الله واسطة ، وهو سيدنا موسى ، وكذلك الحواريون قالوا لسيدنا عيسى : (هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء) فجعلوا بينهم وبين الله واسطة ، وهو سيدنا عيسى .

ولكن الله كرم هذه الأمة ، فرفع الواسطة بينه وبينها ، وقال مخاطباً لها : (ادعونى أستجب لكم) وقال : (واسألوا الله من فضله) .

ما يسن للداعى

(١) طيب اللقمة المعبر عنه فى الشرع بالأكل من حلال ، والمعبر عنه فى الأدب بحسن الطعمة ، وهى المعيشة من مورد رزق شريف حلال ، وأحل الحلال الأكل من صنع اليد . قال رسول الله ﷺ لسعد بن أبى وقاص حينما سأله عما يعوق استجابة الدعاء : (يا سعد اجتنب الحرام فإن كل بطن دخل فيه لقمة من الحرام لا يستجاب دعاؤه أربعين يوما) وقد قيل : الدعاء مفتاح الحاجة ، وأسنان المفتاح لقم الحلال ، ولقد أصاب رجال الأدب فى اعتبار حسن الطعمة شرطاً لمروءة الرجل الذى يعتمد عليه فى مهام الأعمال ، كما صدق الشرع فى اعتبار الأكل من حلال علامة على تقوى الرجل ومعرفته ربه .

(٢) طيب الكسوة : وهو أن تكون ملابس الداعى من حلال . قيل الحلال ما أفتاك المفتى بأنه حلال ، والطيب ما أفتاك قلبك أنه ليس فيه جناح ، وقد قيل الدعاء يحتاج إلى مأكول وملبوس ومشروب طيبات .

(٣) أن يتوضأ الداعى ويصلى ركعتين إذا أراد أن يطلب من الله مهماً . فعن عبد الله بن أبى أوفى رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : (من كان له حاجة إلى الله تعالى أو إلى أحد من بنى آدم فليتوضأ فليحسن الوضوء ثم

ليصل ركعتين ثم ليثن على الله تعالى وليصل على النبي ﷺ ثم ليقل لا إله إلا الله الحليم الكريم ، سبحان الله رب العرش العظيم ، والحمد لله رب العالمين أسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك ، والغنيمة من كل بر ، والسلامة من كل إثم ، لا تدع لى ذنبا إلا غفرته ، ولا هما إلا فرجته ، ولا حاجة هى لك رضا إلا قضيتها يا أرحم الراحمين) .

(٤) يستقبل القبلة ويبدأ بالدعاء لنفسه ثم لوالديه ولجميع المسلمين ، ويرفع يديه إلى المنكبين ويجعل باطن كفيه مما يلى وجهه ، ويجثو على ركبتيه ، ويضم يديه إلى صدره كطالب المسكين الطعام ، ويخفض صوته بالدعاء .

(٥) يقدم على الدعاء الحمد لله والثناء عليه ، والصلاة على النبي ﷺ ، ويستفتح دعاءه بقوله : (سبحان ربى العلى الأعلى الوهاب) كما كان رسول الله ﷺ يستفتح الدعاء به .

(٦) يعترف على نفسه بالظلم ويستغفر الله ، ويخلص التوبة كأن يقول : (ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) . أو يقول : (لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين) .

(٧) يدعو الله بما يلهم من طلب الخير والاستعاذة من الشر ، ولا يستظهر صورة للدعاء . عن ابن عمران أن رسول الله ﷺ قال : (إذا فتح على العبد الدعاء فليدع ربه فأن الله تعالى يستجيب له) .

(٨) يثق بالإجابة لقوله ﷺ : (ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة) .

دخل الحسن على أبى عثمان النهرى ليعوده فى مرضه فقال له : ادع الله بدعوات ، فقد بلغك ما قيل فى دعاء المريض ، فحمد الله النهرى وأثنى عليه ، وتلا آية من كتاب الله ، وصلى على نبيه ، ثم رفع يديه ورفع الحاضرون أيديهم فدعا ، ولما وضع يديه ووضع الحاضرون أيديهم قال : أبشروا فوالله لقد استجاب لكم ، فقال الحسن أتحلف على الله ، قال نعم ياحسن ، لو حدثنى

بحديث صدقتك فكيف لا أصدقه وإنه يقول : (ادعونى أستجب لكم) فلما خرج الحسن من عند النهرى قال : إنه لأفقه منى .

وقال ﷺ : (إذا دعا أحدكم فلا يقل اللهم اغفر لى إن شئت ، ارحمنى إن شئت ، ارزقنى إن شئت، وليعزم المسألة إنه يفعل مايشاء ولامكره له) فإن روح الدعاء وسره رغبة النفس فى الشىء مع تشبهها بالملائكة وتطلعها لجبروت الله ، والطلب بالشك يشتت العزيمة ويفتر الهمة ، والدعاء لا يستجاب إلا ممن قويت رغبته ، وتأكدت عزيمته ، واتصل بالله تمام الاتصال ليجيب دعوته .

(٩) لا يعجل فى طلب الدعاء بأن يقول : دعوت فلم يستجب لى . قال ﷺ : (يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم ولا قطيعة رحم وما لم يعجل) أى يستبطىء الإجابة .

(١٠) يدعو بالدعاء ثلاث مرات . روى أن النبى ﷺ كان إذا دعا دعا ثلاثاً وإذا سأل سأل ثلاثاً .

(١١) يواظب على الدعاء مرة بعد مرة إلى سبع مرات ، فى سبعة أوقات مختلفة ، ويكثر من الدعاء فى حالة الرخاء والنعمة ، لينال النجاة فى حالة البلاء والنقمة ، فإن من دعا فى الرخاء ، صار من حزب الله والله ينصر حزبه عند الشدائد . قال ﷺ : (من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد فليكثر الدعاء فى الرخاء) .

(١٢) لايمل الدعاء فيتركه ، فإن من يمل الدعاء لا يقبل دعاؤه .

(١٣) ينبغى أن يُعلم أن الله أخفى كثيراً من الأشياء لحكمة ، ومصلحة ، فقد أخفى رضاه فى الطاعات ، حتى يرغب فى الطاعات كلها ، من الفرائض والنوافل ، وأخفى غضبه على المعاصى ، ليتجنب الناس الكبائر والصغائر ، وأخفى وليه بين الناس ، ليعظم الناس جميع الأولياء ، وأخفى الاسم الأعظم ليعظموا جميع أسماء

الله ، وأخفى الصلاة الوسطى ليحافظوا على الصلوات ، وأخفى قبول التوبة ليواظب الناس على التوبة فى جميع الأوقات ، على سبيل التكرار ، وأخفى وقت الموت ليخاف الناس منه فى كل وقت ، ويعملوا لما بعده وأخفى ليلة القدر ليعظموا جميع الليالى بالقيام ، وعبادة الله . قالوا فكذلك أخفى الله الاجابة للدعاء ، ليبالغ الناس فى الدعاء فى كل وقت .

(١٤) يستغرق بدعائه جميع مطالبه وآماله ، ولا يستعظم حصول مطلوبه ، فإن الله لا يعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماء ، ولا يستصغر مطلوبه ، لأنه بذلك يدعى القدرة عليه ، مع أنه عاجز ، لا يمكنه تحريك ساكن ولا تسكين متحرك ، ولا يملك مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء . قال ﷺ :(ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها حتى يسأل شسع نعله إذا انقطع) .

(١٥) لا يعتدى فى الدعاء ، بأن يجاوز المسنون فيه . روى أنه ﷺ قال : (سيكون فى هذه الأمة قوم يعتدون فى الطهور والدعاء) . أما الاعتداء فى الطهور ، فهو بأن يزيد على الوضوء الشرعى ، وأما الاعتداء فى الدعاء ، فهو بأن يسأل الله ما لا حاجة إليه ، أو أن يطمع فيما لا يبلغه عملا ، كالصعود إلى السماء ، أو حالا كأن يسأل الله موضعاً معيناً فى الجنة ، مثل منازل الأنبياء فيتجاوز بذلك حد الأدب .

(١٦) لا يعتمد على التمنى ، وهو طلب القرب من الله بدون فعل الطاعات ، فأن هذا طلب بلا مباشرة للأسباب . قال ﷺ : (الداعى بلا عمل كالرامى بلا وتر) .

(١٧) دعاء الجماعة بالدعاء الواحد فى الغرض الواحد ، أقوى تأثيراً فى الاجابة . أخرج الحاكم فى مسنده عن حبيب بن سلمة الفهرى ، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : (لا يجتمع ملأ فيدعو بعضهم ويؤمن بعضهم

إلا أجابهم الله) . وأخرج أبو نعيم فى الحلية عن أنس بن مالك رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : (ما اجتمع ثلاثة قط يدعون إلا كان على الله ألا يرد أيديهم) أى لا يرد أيديهم خائبة ، بل يستجيب لهم .

(١٨) يختم بالدعاء بالصلاة على النبي ﷺ . أخرج الطبرانى فى الأوسط ، عن على بن أبى طالب رضى الله عنه ، أن النبي ﷺ قال : (كل دعاء محجوب ما لم يصل على محمد وعلى آل محمد) ﷺ ، وفى الخبر أن النبي ﷺ قال : (إذا سألتم الله حاجة فابدءوا بالصلاة علىّ فإن الله أكرم من أن يسأل حاجتين فيقضى إحداهما ويرد الأخرى) رواه أبو طالب المكى . وروى الدارانى : (إذا أردت أن تسأل الله حاجة فصل على محمد ثم سل حاجتك ثم صل على محمد فإن الصلاة على النبي مقبولة والله عز وجل أكرم من أن يرد ما بينهما) أخرجه النميرى بهذا الوجه وبوجه آخر . هكذا فى القول البديع للحافظ السخاوى .

(١٩) عند الفراغ من الدعاء يمسح بيديه وجهه . أخرج الترمذى عن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه أنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا رفع يديه فى الدعاء لا يحطهما حتى يمسح بهما وجهه ، ففى المسح باليد تفاؤل ، كأن كفى الداعى امتلأتا من البركات السماوية ، فهو يفيض منهما على وجهه ، الذى هو أولى الأعضاء بالكرامة .

(٢٠) يقول فى آخر دعائه : سبحان ربنا رب العزة عما يصفون ، ويؤمن على دعائه (يقول آمين) . روى أن النبي ﷺ قال : (علمنى جبريل آمين عند فراغى من قراءة الفاتحة وقال إنه كالختم على الكتاب) وفى معنى هذا الحديث قول على وكعب الأحبار رضى الله عنهما : آمين خاتم رب العالمين يختم به دعاء عبده المؤمن ، وقال مقاتل : آمين قوة للدعاء ، واستنزال للرحمة .

(٢١) يحمد الله إذا أجاب دعاءه فيقول : الحمد لله الذى بعزته وجلاله تتم الصالحات ، كما يحمده إذا أبطأته الإجابة فيقول : الحمد لله على كل حال .

ما يسن فى الدعاء

يسن أن يختار الداعى من الأدعية ما كان سؤالا لأهم مطالبه ، كالعافية وما كان جامعا لخيرى الدنيا والآخرة ، مثل اللهم إنى أسألك العفو والعافية والمعافاة الدائمة فى الدين والدنيا والآخرة ومثل قوله تعالى : (ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) . ومثل اللهم إنى أسألك من الخير كله ما علمت منه وما لم أعلم . وأعوذ بك من الشر كله ما علمت منه وما لم أعلم .

قال عز الدين بن عبد السلام فى قواعده الكبرى : ينبغى للذاكر أن يختار من الأذكار أفضلها — وأقول مثل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم — ومن الأدعية أشرفها ، ويأتى بالأفضل فى أوقاته التى شرع فيها ، وإذا جمع بين الدعاء والثناء ، قدم الثناء . اهـ وهذا اقتداء بالفاتحة ، فإنها بدئت بالحمد والثناء ، ثم تلا ذلك الدعاء فى الآيات الثلاث الأخيرة ، وعلى ذلك كان دعاء السجود بعد التسبيح والثناء .

وقال ابن عبد السلام : أفضل الأذكار ما صدر عن استحضار صفات الكمال ، ونعوت الجلال لله تعالى ، والأذكار المشروعة أفضل من الأذكار المخترعة ، والمراد بالمشروعة ما وردت فى الأثر والسنة النبوية ، والمخترعة غيرها ، وكذلك الدعوات الصحيحة المشروعة ، أولى من الدعوات المجمعة ، وإن كانت المجمعة جائزة ، إلا أن السؤال بالدعاء المسنون ، المأثور عن النبى ﷺ ، شرط من شروط الأجابة وبهذه المناسبة نأتى بأهم شروط الاجابة :

١ — أن يكون الدعاء مسنونا . ٢ — أن يدعو به فى الوقت المسنون . ٣ — أن يكون أكل الداعى وشربه ولبسه من حلال . ٤ — ألا يعتدى فى دعائه . ٥ — ألا يكون تاركا للطاعات معتمداً على التمنى . ٦ — ألا يدعو بإثم ولا قطيعة رحم . ٧ — ألا يكون مرتكبا للذنوب . ٨ — أن يكون حاضر القلب خاشعاً . ٩ — أن يكون واثقاً بالاجابة وقت الدعاء . ١٠ — ألا يتعجل الاجابة فيقول دعوت ولم يستجب لى . ١١ — أن يكون الدعاء عاما للسلمين . ١٢ — أن يكون فى المصلحة والخير .

من يستجاب دعاؤهم

(١) المضطر . أخرج أبو نعيم فى الحلية ، والبيهقى فى الشعب ، أن رجلا قال لطاووس ادع لى الله فإنى مضطر ، فقال له طاووس ، ادع الله لنفسك ، فإن الله يجيب دعاء المضطر إذا دعاه آه . قال تعالى : (أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء) .

(٢) دعاء المظلوم مطلقا ، ففى الصحيحين وغيرهما ، من حديث ابن عباس رضى الله عنهما ، أن النبى ﷺ بعث معاذا إلى اليمن إماما فقال له : (اتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب) وأخرج أبو داود من حديث أبى هريرة رضى الله عنه : (دعوة المظلوم مستجابة وإن كان فاجراً ففجوره على نفسه) وتتق دعوة المظلوم لأنه لما لحقـــه الظلم اضطر الى الدعاء ، والله يجيب دعوة المضطر اذا دعاه ، ويكشف عنه السوء .

(٣) دعاء الولد البار لوالديه . قال رســـول الله ﷺ : (إن الله تعالى ليرفع للرجل الدرجة فيقول أنىّ لى هـــذه فيقول دعاء ولدك) ، ودعاء الوالد على ولده مستجاب ، لقوله ﷺ : (ثلاثة تستجاب دعوتهم الوالد والمسافر والمظلوم) .

أما دعاء الوالدة على ولدها فغير مستجاب لأنها ترحم ولدها ولا تريد من قلبها وقوع الدعاء فيه .

(٤) دعاء المسلم لأخيه المسلم بظهر الغيب . قال ﷺ : (ما من عبد مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب إلا قال الملك ولك مثل ذلك) فالداعى لأخيه بظهر الغيب مغتنم لفائدة دعائه ، وذلك لبعد شائبة الطمع والرياء ، بخلاف دعاء الحاضر فإنه قلما يسلم من الرياء ، والغائب لا يدعو إلا لله تعالى ، فيكون دعاؤه خالصا مقبولا ، وعلى هذا الأخلاص كان له مثل ما دعا به لأخيه .

وقد طلب النبي ﷺ الدعاء من سيدنا عمر بن الخطاب حين الغيبة ، فقد أخرج أبو داود والترمذى ، أن سيدنا عمر قال : استأذنت رسول الله ﷺ فى العمرة فأذن لى وقال : (أشركنا يا أخى فى دعائك ولا تنسنا) فقال سيدنا عمر : كلمة ما يسرنى أن لى بها الدنيا . أن لى بها الدنيا : أى أن لى الدنيا بدلا منها .

(٥) يرغب فى دعاء الإمام العادل ، فقد روى أن عدل ساعة يعدل عبادة ستين سنة .

(٦) ويرغب فى دعاء الجماعة ، فإن اجتماع الجمع العظيم على الدعاء الوحد ، فى المطلوب الواحد ، له تأثير أقوى من تأثير دعاء الشخص الواحد ، بالدعاء الواحد كما سبق .

(٧) وكذلك يرغب فى دعاء الغازى فى سبيل الله حتى يقفل ، لأنه مخلص فى إعلاء كلمة الله ، والله قريب من حزبه لا يخذلهم .

(٨) ويقبل دعاء من تعارّ من الليل ، أى هب من نومه مع صوت ، لقوله ﷺ : (من تعارّ من الليل فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير وسبحان الله ولا إله إلا الله والله أكبر ولاحول

ولا قوة إلا بالله العلى العظيم اللهم اغفر لى، ويدعو يستجب له فإن توضأ وصلى قبلت صلاته) . وفى رواية : (.فإن توضأ وصلى ودعا استجيب له) .

(٩) دعوة الرجل الصالح ، كما فى الحصن الحصين ، ولا يخفى أنه يقيد دعاء الصالح بما قيد به دعاء المسلم ، لأن لفظ المسلم يتناول الرجل الصالح تناولا أولياً ، ودعوة المسلم التى لا ترد ، مقيـــدة بقوله ﷺ : (مالم يدع بإثم ولا قطيعة رحم) كما سبق .

(١٠) وأحب الدعاء إلى الله تعالى قول العبد : اللهم أغفر لأمة محمد ﷺ ، وارحمهم رحمة عامة .

اوقات النفحات

روى الطبرانى وغيره عن محمد بن مسلمة ، أن النبى ﷺ قال : (إن لله فى أيام الدهر نفحات فتعرضوا لها فلعل أحدكم أن تصيبه نفحة فلا يشـــقى بعدها أبدا) .

ولذا ينبغى للداعى أن ينشد الأيام المفضلة ولياليها وساعات الأجابة ، فيجعلهـا وقتا لدعائه ، عملا بالأخبار التى وردت فى فضلها ، وتعظيم شـأنها ، وأثبتت أن النبى ﷺ ، وصالح المؤمنين اتخذوها مواسم للعبـادة والدعاء لما حصل فيها من حوادث التاريخ البشرى ، وما تم فيها من نعم التوبة على الأمم ، والاستجابة لدعوة الرسل .

هذا ولا يصح أن يـكون ما بين هـذه الأوقات خلوا من العبادة والدعاء لأن الله سميع قريب يجيب الدعوات فى كل زمان وكل مـكان ، ولا يصح أن يترك العبد عبادة ربه ودعاءه فى وقت من الأوقات ، حتى يكون من الذاكرين الله كثيراً ، الذين أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيما، وهاك أوقات النفحات .

١ — رجب وهو من الأشهر الحرم وهى ثلاثة سرد : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، وواحد فرد وهو رجب . وقد كانت الجاهلية تعظم حرمة هــــذه الأشهر الأربعة وتكف عن القتال فيها ، وبعد أن أخرج الكفار المسلمين من المسجد الحرام أباح الإسلام — للأقوى — قتال المشركين فى هذه الأشهر ، لأنهم أخرجوا المسلمين من الحرم ، وإخراجهم منــــه أكبر عند الله من القتال فى الأشهر الحرم ، وبقيت حرمة هذه الأشهر ، بأن صارت من الأيام المفضلة التى يتضاعف فيها الجزاء على الطاعات وتستجاب فيها الدعوات ، وقد دلت الآثار على أن الدعاء يستجاب فى أول ليلة من رجب ، وفى أول ليـــلة جمعة منه ، ويغتنم الدعاء فى ليلة السابع والعشرين من رجب ، فإن الله أسرى بعبده محمد ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى فى هذه الليـــلة ، ثم عرج ﷺ إلى السماء ، ثم رجع إلى الأرض بالخير العظيم ، والهداية الكاملة فى هذه الليلة بعد أن أوحى الله إليه ما أوحى .

قال ﷺ : (شهر رجب شهر الله وشهر شعبان شهرى وشهر رمضان شهر أمتى) وقد جعلت هذه الأشهر الثلاثة كحمام فيه ثلاثة بيوت ، فيدخل العبد فى أولها فيجلس ساعة ليعتاد ، ثم يدخل البيت الثانى ، ثم يدخل البيت الثالث فيطهر نفسه ، فشهر رجب شهر الاستغفار ، وشهر شعبان شهر الصوم والصلاة ، وشهر رمضان شهر القرآن .

وقد شرع الله الصلوات ، والجمعة والجماعة للمثابرة على العبادة والدعاء ، فإن قصر العبد جد واجتهد فى الأشهر الحرم الثلاثة ، فإن قصر فنى الشهر الرابع رجب ، فإن قصر فنى شعبان ، فإن قصر فنى رمضان ، فإن قصر فنى ليلة القدر والعيدين ، وعاشوراء .

وكأن الله تعالى يقول حين جعل هذه الأيام أيام رحمة : عبادى أمرتكم

بالتوبة فلم تتوبوا فجعلت لكم هذه الأوقات وفضلتها على غيرها ، حتى إذا مرت بكم تطهرتم لمولاكم ، وهذا من كرم الله الذى لم يترك عباده بلا هداية وإرشاد ، بل أمدهم بما يهديهم الى الطريق المستقيم .

فيجب على المسلم أن يجيب داعى الله ويعبده ويدعوه طول العام ، فمن عرف الله فى الرخاء عرفه الله فى الشدة ، فليس من الحق فى شىء أن العبد يسىء معاملة ربه طول العام ولا يحسن معاملته إلا اذا أصيب بالبأساء ، والضراء ، وحين البأس .

حكى أن بعض الزهاد اشترى جارية ، ولكنها كانت عارفة بالله تعالى ولم يعرف مولاها عنها ذلك ، ولما كانت أول ليلة من رجب قال الزاهد لأهله تهيئوا للصوم غداً فانه غرة رجب ، فقالت الجارية للزاهد يامولاى بعنى غداً ، قال ولماذا ، قالت إنى لا أريد صاحباً يعبد الله عز وجل بالوقت فيعبده فى رجب ولايعبده فى سواه ، وهو رب جميع الأوقات والأيام اه . وإنماجعلت هذه الأيام لتذكير الناسى وترغيب العمال وشحذ الهمم التى لم تشحذ فى سائرأيام السنة حتى لا يفوت العبد كل شىء ، فما لا يدرك كله لا يترك كله .

٢ — ليلة النصف من شعبان . أخرج الديلمى عن أبى أمامة أن رسول الله ﷺ قال : (خمس ليال لا ترد فيها الدعوة أول ليلة من رجب وليلة النصف من شعبان وليلتا العيدين وليلة الجمعة) وقالت عائشة رضى الله عنها سمعت رسول الله ﷺ يقول : (يسح الله الخير فى أربعة ليال سحا ليلة الأضحى وليلة الفطر وليلة النصف من شعبان ينسخ الله فيها الأرزاق والآجال ويكتب فيها الحاج ، وليلة عرفة إلى الآذان) وروى : (خمس ليال) وذكر فيها ليلة الجمعة .

٣ — شهر رمضان وفضله معروف . أخرج البيهقى من حديث عبد الله

ابن عمرو بن العاص رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال : (إن للصائم عند فطره لدعوة لا ترد) وذلك لأن الصائم فرغ من عبادة خالصة لله ، ففى الحديث القدسى (الصوم لى وأنا أجزى به) .

٤— ليلة لقدر . قال تعالى : (ليلة القدر خير من ألف شهر تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر سلام هى حتى مطلع الفجر) فشرف هذه الليلة يستلزم إجابة الدعاء فيها ولهذا أمر النبي ﷺ الصحابة بالتماسها ، وحرضهم على قيامها وإحيائها بالعبادة ، ويحصل إحياؤها بقيام معظم الليل أو ساعة منه ، وقال ابن عباس رضى الله عنه : بصلاة العشاء فى جماعة ، والعزم على صلاة الصبح فى جماعة ؛ كما قيل فى ليلتى العيدين ، وقال الأمام الشافعى رضى الله عنه . من شهد العشاء والصبح ليلة القدر فقد أخذ بحظه .

وقد أخرج الترمذى وأبو داود والحاكم وابن ماجه ، مايدل على أن الدعاء فيها مجاب ، وروى أن النبي ﷺ علم السيدة عائشة رضى الله عنها أن تدعو ليلة القدر بقولها : (اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنى) .

واختلفوا فى تعيينها على نحو أربعين قولا ، أشهرها أنها فى ليالى الوتر من العشرة الأخيرة من رمضان .

٥— يوم عرفة : فى يوم عرفة يجتمع المسلمون على جبل عرفات يعجون بالدعاء الواحد ، كأنهم رجل واحـــد ، ولا غرو أنهم يفيضون من عرفات واثقين بأن الله قد غفر لهم ، وقبلهم واستجاب دعاءهم ، وشرف هـذا اليوم عظيم . قال ﷺ : (خير يوم طلعت فيه الشمس يوم عرفة) وشرف هذا اليوم يستلزم استجابة الدعاء فيه ، وروى الترمذى أن النبي ﷺ قال : (خير الدعاء يوم عرفة) .

٦— يوم عاشوراء ، وهو اليوم العاشر من شهر المحرم . قال ابن عباس

رضى الله تعالى عنه : لم أر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يصوم يوما يتحرى فضله على الأيام ، إلا يوم عاشوراء وشهر رمضان، ولهذا كان يصوم يوم عاشوراء ويوما قبله ويوما بعده للتحرى وخوف فواته ، عند الاختلاف فى هلال المحرم احتياطاً .

قيل إن هذا اليوم تاب الله فيه على آدم ، وفيه هبط إلى الأرض ، وروى أن سفينة نوح استوت على الجودى فى هذا اليوم ، وقيل نجى الله فيه موسى وقومه من الغرق ، ولما حصل فى هذا اليوم من الحوادث العظام والمنن الجسام ، كان سيدنا نوح وسيدنا موسى يصومانه شكرا لله على نجاتهما ، وروى مرفوعاً من حديث أبى موسى : (هـــذا اليوم تاب الله فيه على قوم فاجعلوه صلاة وصوماً) . هذا اليوم : يوم عاشوراء

٧ ــ الجمعه : ليلة الجمعة ، ويوم الجمعـــة ، وساعة الجمعة . روى الترمذى والحاكم من حديث ابن عباس رضى الله عنه ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لعلى بن أبى طالب (إن فى ليلة الجمعة ساعة الدعاء فيها مستجاب) ولم تقيد تلك الساعة لتحريض المسلمين على الدعاء فى كل الساعات ليلة الجمعة .

يوم الجمعة ، وقد تواترت الأخبار والنصوص على أن فى يوم الجمعة ساعة لايسأل العبد فيها ربه شيئاً إلا اعطاه الله إياه ولم تعين تلك الساعة ليجد الناس فى الدعاء طول يوم الجمعة وخصوصاً فى ساعة الجمعة .

ساعة الجمعـة ، وهى ما بين أن يجلس الإمام على المنبر ، وما بين أن تقضى الصلاة .

وعن فاطمة رضى الله عنها أن النبى ﷺ قال (إن فى يوم الجمعـة لساعة لا يوافقها مسلم يسأل الله فيها خيرا إلا أعطاه الله إياه) فقالت فاطمة رضى الله عنها : يا أبت أى ساعـة هى ؟ فقـال (إذا تدلى نصف الشمس للغروب)

فكانت تأمر غلاما لها برصد الشمس فإذا أعلمها أن نصف الشمس قد تدلى للغروب قامت فدخلت المسجد ودعت حتى تغرب الشمس فتصلى .

٨ — ثلث الليل الأول ، وجوف الليل ، وثلث الليل الأخير ، ونصفه الثانى. أخرج الترمذى أن النبي ﷺ قال (أقرب مايكون العبد من ربه فى جوف الليل الآخر فأن استطعت أن تكون ممن يذكرون الله فى تلك الساعة فكن) وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (ينزل ربنا الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : من يدعونى فأستجيب له ، من يسألنى فأعطيه ، من يستغفرنى فأغفر له) ولا يخفانا أن النزول فى هذا الحديث وغيره من أحاديث النزول لا يعنى به أن الله تعالى ينزل من سماء إلى سماء فأنه منزه عن الجهة ، وأنه لا يقصد بالنزول حقيقته : من أعلى الى أسفل ، فأن الله قائم بنفسه وليس له مكان مثل خلقه ، ولكنه معنا أينما كنا . قال تعالى (وهو الله فى السموات وفى الأرض) وقال تعالى (وهو الذى فى السماء إله وفى الأرض إله) يعنى أن الله لكمال علمه بما فى السموات والأرض كأنه فيهما . فالنزول فى الأحاديث عبارة عن نزول رحمات الله باستجابة الدعاء فى هذه الأوقات .

٩ — وقت السحر وهو قبيل الصبح ، ولا يخفى أن السحر داخل فى ثلث الليل الأخير فيعطى حكمه .

١٠ — عند الزوال . أخرج أبو نعيم فى الحلية عن سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا زالت الشمس عن كبد السماء قدر شراك قام فصلى أربع ركعات فقال له يا رسول الله ما هذه الصلاة ؟ فقال : (من صلاهن فقد أحيا ليلته . هذه ساعة تفتح فيها أبواب السماء ، ويستجاب فيها الدعاء) ولم يقيد أبو نعيم الزوال بزوال يوم الأربعاء . أما البيهقى فقد قيد الزوال بزوال يوم الأربعاء .

والمراد بالفتح كما فى القرآن الكريم حصول المغفرة والخير والبركة واليسر وقضاء الحوائج. والمراد بأبواب السماء نزول الخير والبركة من عند الله لأن السماء ليس لها أبواب تفتح مثل أبوابنا حقيقة، وإنما المراد بفتح أبواب السماء حصول التيسير ووصول رحمة الله إلى عباده واستجابة دعائهم وقصدت السماء بالذكر عند حصول الخير لأنها أشرف الجهات. فكما كان علو الله سبحانه وتعالى معنوى وليس بمكانى، كانت خيرات الله لا يليق بها إلا أن يكون مصدرها هذا العلو الذى ليس بمكانى.

١١ — عند النداء (الأذان) لكل صلاة. أخرج الأمام مالك فى موطئه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ثنتان لا تردان: الدعاء عند النداء وعند البأس، حين يلحم بعضهم بعضا) ومعنى حين يلحم بعضهم بعضاً: حين اشتباك المؤمنين بالكافرين فى القتال والتحام الطرفين فى موقعة حربية لأعلاء كلمة الله.

١٢ — بين الأذان والإقامة. أخرج الترمذى وأبو داود عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا يرد الدعاء بين الأذان والإقامة) فقيل ماذا نقول يا رسول الله فقال: (سلوا الله العافية فى الدنيا والآخرة).

١٣ — بين الحيعلتين. (حى على الصلاة. حى على الفلاح) فقد أخرج الحاكم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (إذا نادى المنادى فتحت أبواب السماء واستجيب الدعاء، فن نزل به كرب أو شدة فليتحين المنادى فيجيبه: (فاذا كبر كبر وإذا تشهد تشهد. واذا قال حى على الصلاة قال حى على الصلاة. واذا قال حى على الفلاح قال حى على الفلاح) ثم يقول اللهم رب هذه الدعوة التامة الصادقة المستجاب لها دعوة الحق. وكلمة التقوى، أحينا عليها وأمتنا عليها، واجعلنا من خيار أهلها أحياء وأمواتا، ثم يسأل الله حاجته).

١٤ — عند إقامة الصلاة ، لأن الإقامة نداء للصلاة كالأذان . وقد تقدمت سنية الدعاء عند الأذان مطلقا .

١٥ — عند الصف فى سبيل الله . أخرج الأمام مالك فى موطئه : (ساعتان تفتح لهما أبواب السماء ، وقلّ داع ترد عليه دعوته . حضرة النداء للصلاة والصف فى سبيل الله) .

حضرة النداء للصلاة : حين تحضر وتسمع الآذان للصلاة ، والصف فى سبيل الله: حين تكون فى الصف تقاتل لأعلاء كلمة الله : (لا إله إلا الله محمد رسول الله) . قل داع ترد دعوته إشارة إلى أن الدعوة قد ترد لفوات شرط من شروط الدعاء أو ركن من أركانه .

١٦ — عند تلاوة القرآن الكريم ، ولا سيما عند الختم . أخرج الترمذى من حديث عمران بن حصين رضى الله عنه ، أنه مر على قارىء يقرأ القرآن ثم يسأل الناس فاسترجع : (قال إنا لله وإنا إليه راجعون) ثم قال سمعت : رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (من قرأ القرآن فليسأل الله فأنه سيجىء أقوام يقرءون القرآن يسألون به الناس) .

١٧ — عند قول الأمام ولا الضالين . روى أبو هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إذا أمّن الامام فأمّنوا فأنه من يوافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه) .

١٨ — عند شرب ماء زمزم . أخرج الدارقطنى والحاكم عن أبن عباس عن أبيه رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (ماء زمزم لما شرب له إن شربته تستشفى به شفاك الله ، وإن شربته لشبعك أشبعك الله ، وإن شربته لقطع ظمئك قطعه الله ، وهى هزمة جبريل ، وسقيا اسماعيل) . وزاد الحاكم :

(وإن شربته مستعيذاً أعاذك الله) هزمة جبريل : حفر جبريل يقال هزم البئر حفرها والهزائم البئار الكثيرة ، والينابيع الكثيرة الماء .

١٩ — عند صياح الديكة . فى الصحيحين أن أبا هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله فأنها رأت ملكا ، وإذا سمعتم نهيق الحمار فتعوذوا بالله فأنه رأى شيطاناً) .

٢٠ — وقت اجتماع المسلمين فى مجلس الذكر . أخرج مسلم أن أبا هريرة وسعيدا الخدرى رضى الله عنهما شهدا على النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (لا يقعدقوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده) وقد ورد هذا الحديث فى البخارى بزيادة : (إن الله يقول لملائكته أشهدوا أنى قد غفرت لهم فيقول ملك من الملائكة فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة قال هم القوم لا يشقى بهم جليسهم) ومعنى : (قال هم القوم لا يشقى بهم جليسهم) أن الله تعالى قال للملك ، هؤلاء هم القوم الذين لا يسرهم أن يشقى جليسهم وهم سعداء ، فلا أسعدهم وأشقى جليسهم الذى اندس فيهم ، بل أكرم جليسهم إكراماً لهم .

٢١ — ان العبد فى آخر أنفاسه ينقطع أمله من الخلق بالكلية فلم يبق فى قلبه رجاء ولا خوف الا من الله تعالى فلا جرم إذا ذكر العبد ربه حينئذ بأى اسم فقد ذكره باسمه الأعظم الذى من سأله به أعطاه . هذا وقد أخرج النسائى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إذا حضر الميت أتته ملائكة الرحمة) فيكون حضور ملائكة الرحمة سببا فى قبول الدعاء .

٢٢ — ويغتنم الدعاء عند تيقظ القلب ، والشعور بعظمة الله وكبريائه

لقرب الله تعالى من العبد حينئذ ، وعدم وجود الأغيار فى قلب الداعى .

٢٣ — ويغتنم الدعاء عند رقة القلب ، فان رقة القلب رحمة من الله تعالى. روى أن أبي بن كعب قرأ عند النبي صلى الله عليه وسلم فرقّوا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اغتنموا الدعاء عند الرقة فأنها رحمة) .

٢٤ — فى حالة المرض . فعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إذا دخلت على المريض فمره فليدع لك فأن دعاءه كدعاء الملائكة) .

٢٥ — ويغتنم الدعاء عند الغيبة عن الأهل والوطن المألوف لأن الغربة وانكسار النفس فيها ، ووعثاء السفر لا تخلو من رقة القلب والرجوع إلى الله الذى يقبل الدعاء بمنه وكرمه .

٢٦ — أدبار الصلوات المكتوبات . أخرج الترمذى من حديث أبي أمامة أنه قيل يا رسول الله : أى الدعاء أسمع فقال : (جوف الليل الأخير ودبر الصلاة المكتوبة) .

٢٧ — بعد قراءة سورة الإخلاص ، وبين الجلالتين أول سورة الأنعام (الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون هو الذى خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده ثم أنتم تمترون . وهو الله فى السموات وفى الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون) فهذه ثلاث آيات يكون الدعاء بعد الأولى والثانية منها وقبل الثالثة .

٢٨ — فى السجود لما روى عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء) أما فى الركوع فيقول المصلى سبحان ربي العظيم لقوله صلى الله عليه وسلم

(أنى نهيت أن أقرأ القرآن راكعاً وساجداً فأما الركوع فعظموا فيه الرب وأما السجود فاجتهدوا فى الدعاء فأنه قمن أن يستجاب لكم) والدعاء فى الصلاة جائز بما ورد ومالم يرد . قال الشوكانى فى الدرر المضيئة : فأن قلت من أى دليل أخذ جواز الدعاء فى الصلاة بما ورد ومالم يرد ، قلت من عموم قوله عليه الصلاة والسلام : (وأما السجود فاجتهدوا فى الدعاء) فأن المجتهد له الاختيار ومن قوله عليه الصلاة والسلام : (ثم ليتخير أحدكم من الدعاء أعجبه إليه فيدعو به) فقد جعل ﷺ الاختيار للمصلى فى الدعاء بعد التشهد وقبل السلام ، فيدعو بما شاء . دلت على ذلك الأحاديث فى الصحيحين ، ومسند الامام احمد عن ابن مسعود وغير ذلك .

٢٩ — وقت التعارّ كما ورد فيمن يستجاب دعاؤهم .

٣٠ — عند نزول الغيث . فعن عائشة رضى الله تعالى عنها ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (ثلاث ساعات للعبد المسلم مادعا فيهن إلا استجيب له مالم يسأل قطيعة رحم أومأثما : حين يؤذن المؤذن للصلاة حتى يسكت ، وحين يلتقى الصفان حتى يحكم الله بينهما ، وحين ينزل المطر) .

وينبغى للمسلم ألا يقتصر على هذه الأوقات فى الدعاء ، بل يجب عليه كلما رأى ما يسوءه أن يدعو الله بزوال الشدة وأن يطمع فى خير الله فيدعوه أن يجزل له العطاء فى كل وقت ، وأن يكثر من الاستغفار اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم عسى أن يوافق دعاؤه وقت الأجابة .

الأماكن المباركة

قال تعالى : (وهو معكم أينما كنتم) وقال تعالى : (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا) وقال تعالى (إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا) .

فالله مع عباده جميعاً فى كل زمان وفى كل مكان ، يرى ويسمع ما يقولون وما يفعلون ، وما يخفون وما يعلنون ، فهو مطلع عليهم فى كل حال .

لم يحتم علينا الدين أن ندعو الله بمكان دون مكان ولكن الله شرف بعض الأمكنة ، كما شرف بعض الناس وبعض الأزمنة ، وتشريف بعض الأمكنة قد يدعو إلى احتمال شرف الداعى ما دام يدعو بهذه الأمكنة فتحل عليه بركتها ويتقبل دعاؤه . والسر فى ذلك أن النفوس البشرية لا بد لها من التعرض إلى نفحات الله ولا شيء فى التعرض لنفحات الله كالتوجه إلى شعائره فى أرضه ، والتضرع اليه بها ، والإمعان فيها والوقوف عليها .

فلا يبعد أن يكون شرف هذه الأمكنه وسعادتها وبركاتها مؤثرا فى سعادة الداعى بها فيستجاب دعاؤه كما استجيب دعاء الذى اندس مع الذاكرين لحاجة فى نفسه وليس منهم وإنما عادت عليه بركتهم فصار كواحد منهم ، فحال هذه الأماكن المباركة كحال القوم المباركين المجتمعين على حب الله وذكره حقا ، وحال الداعى بهذه الأماكن كحال جليس الصالحين الذى ليس منهم ، فتشمله البركة التى جعلها الله فى هذه الأمكنة فلا يشقى بعدم قبول دعائه بها كما لا يشقى جليس الصالحين وإن كان ليس منهم .

ولا يمتنع أن يقال أن الله جعل الأماكن المشرفة محلا لقبول الدعاء حتى يرغب الناس فى الحج والزيارة ويشحذوا هممهم لتأدية هذه الفريضة المحفوفة بالمشاق مع انتهاز فرصة الدعاء فى أمكنة الشعائر ، على أننا إذا دعونا بهذه الأمكنة ، فأنما نقتدى بالأنبياء والسلف الصالح الذين دعوا الله بها فاستجاب لهم . ومن هذه الأمكنة :—

١ — الكعبة : الدعاء عند رؤية الكعبة شرف الله قدرها مرغوب فيه . روى الطبرانى بسند جيد :

(أن الدعاء مستجاب عند رؤية الكعبة) ووجه استجابة الدعاء عند رؤيتها أن ما لها من الشرف والبركة قد يعود على الداعي عندها كما سبق أن جليس القوم عادت عليه بركتهم فصار كواحد منهم فى القبول وان كان ليس منهم . فكذلك يصير الداعي فى الكعبة مشمولا بالبركة التى وضعها الله فيها فيقبل دعاؤه لشرفها ، وقد أخرج الطبرانى أيضا فى الكبير والأوسط من حديث حذيفة بن أسيد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا نظر البيت قال : (اللهم زد بيتك هذا تعظيما وتشريفاً وتكريما وبرا ومهابة) .

٢ — حين تقوم على الصفا وحين تقوم على المروة . أخرج الطبرانى عن ابن عباس رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (لا ترفع الأيدى إلا فى سبعة مواطن : حين تفتتح الصلاة وحين تدخل المسجد الحرام فتنظر الى البيت وحين تقوم على الصفا وحين تقوم على المروة وحين تقوم مع الناس عشية عرفة وتجمع العشاءين وحين ترمى الجمرة) والمراد برفع الأيدى الدعاء ، لأن رفع الأيدى من لوازم الدعاء كما سبق ، والمراد بقوله . صلى الله عليه وسلم (حين تقوم مع الناس عشية عرفة) حين الإفاضة مع الناس من عرفة الى المزدلفة . قال تعالى (فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام) أى ادعو الله عند الإفاضة والمشعر الحرام ، والمراد بقوله ﷺ (وتجمع العشاءين) أى يجمع الحجاج صلاة المغرب وصلاة العشاء جمع تأخير بالمزدلفة وغلب العشاء على المغرب فثنيا على عشاءين .

٣ — الدعاء عند الملتزم مغتنم ، فقد أخرج الطبرانى فى الكبير مرفوعا ، من حديث ابن عباس رضى الله تعالى عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ما بين الركن والمقام ملتزم ما يدعو به ذو عاهة إلا برىء) .

٤ — الدعاء داخل البيت مقبول . فقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم

لما دخل البيت دعا فى نواحيه . وقد ثبت فى الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم لما دخل البيت دعا على نفر من قريش .

٥ — عند زمزم وقد سبق أن ماء زمزم لما شرب له .

٦ — فى مقام ابراهيم . قال تعالى (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) فقد أمرنا الله بالصلاة عند مقام ابراهيم . والصلاة فى اللغة الدعاء ، وفى عرف الفقهاء هذه الأقوال والأفعال التى نأتى بها فى الأوقات الخمس وغيرها ، ولاتخلو من سؤال الله تعالى الخير .

٧ — عند المساجد الثلاثة : المسجد الحرام بمكة ، ومسجد قبر النبي بالمدينة ، والمسجد الأقصى بالقدس . وأجمالا فالدعاء مقبول بالبيت الحرام ، وعند زمزم . وعلى الصفا والمروة . وفى المسعى . وخلف المقام . وفى عرفات والمزدلفة ومنى وعند رمى الجمار .

وقد ثبت عن مسلم وأهل السنن . أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا عند المشعر الحرام ، وأخرج أبو داود والنسائى وابن ماجة ، من حديث جابر رضى الله عنه . أن النبي صلى الله عليه وسلم رقى الصفا فوحد الله وكبره وهلله ، ثم دعا بين ذلك ، وفعل على المروة كما فعل على الصفا .

٨ — عند قبور الأنبياء والصالحين . بشرط ألا يحصل عن ذلك مفسدة وهى أن يعتقد فى الميت المدفون فى القبر ، ما لا يجوز اعتقاده فيه . وهو أن صاحب هذا القبر يقدر على قضاء الحوائج التى تطلب منه . كما يحصل من كثير من العوام الذين ينادون أهل هذه القبور مع الله فيشركون بالله فى قضاء حوائجهم من لا يملك لهم ولا لغيرهم ضرا ولا نفعا . ويطلبون من أصحاب هذه القبور ما لا يطلب إلا من الله تعالى ، وهذا معلوم من أحوال المترددين على القبور . وخصوصاً العامة الذين لا يفطنون لدقائق الشرك .

كيف ندعو الله

ندعو الله مع التواضع والخشوع والمسكنة . فمقام الدعاء أحق المقامات بهذه الأوصاف لأن المدعو هو رب العالمين . وخالق الخلق ورازقهم أجمعين والداعي ذلك المحتاج المسكين . والخشوع والخضوع مدعاة الإجابة ، فالعبد إذا خشع وخضع رحمه الله وتفضل عليه بقبول الدعاء . روى ابن أبي شيبة من قول مسلم بن يسار : لوكنت بين يدى ملك تطلب منه حاجة لسرك أن تخضع له . وقال تعالى (ادعو ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين) فمن معاني الاعتداء في هذه الآية كثرة الصياح .

بم ندعو الله

ندعو الله بالأدعية المأثورة وهي التي تحتوى على أسمائه الحسنى وصفاته العليا . قال تعالى : (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها) . أخرج أبو داود والترمذى وابن ماجة وابن حبان والحاكم. من حديث عبد الله بن بريدة عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول : اللهم أنى أسألك بأنى أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت ، الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم (لقد سألت الله بالاسم الأعظم الذى إذا سئل به اعطى . واذا دعى به أجاب) وصحح الحاكم هذا الحديث على شرط البخارى ومسلم . وأخرج الترمذى من حديث معاذ رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول : (ياذا الجلال والإكرام) فقال له (قد استجيب لك فسل) .

أهم المطالب العافية

من سنن الدعاء أن نسأل الله تعالى العافية فهى أهم ما يطلبه الداعي.

روى أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم أى الدعاء أفضل فقال (سل الله العفو والعافية فى الدين والدنيا والآخرة) وقال صلى الله عليه وسلم : (سلوا الله العفو والعافية فأن أحداً لم يعط بعد اليقين خيراً من العافية) ، فالعفو غفران الذنوب والتجاوز عن التقصير فى الطاعات . والعافية دفاع الله عن العبد . يقال عافاه الله معافاة وهب له العافيــــة من العلل كأعفاه . وقد استعملت العافية بمعنى المعافاة . وقيل المعافاة أن يعافيك الله من الناس ويعافيهم منك . وقيل العافية : نفس بلا بلاء ، وصاحب بلا جفاء ، ورزق بلا عناء ، وعمل بلا رياء .

وقد أخرج الترمذى أن العباس بن عبد المطلب قال قلت يارسول الله علمنى شيئا أسأله الله فقال له (سل الله العافية) فمكثت أياما ثم جئت فقلت يارسول الله علمنى شيئا أسأله الله تعالى فقال (ياعباس ياعم رسول الله ، سل الله العافية فى الدنيا والآخرة) . قال الترمذى حديث صحيح ، وقد كان النبي ﷺ ينزل عمه العباس منزلة والده ويرى له من الحق مايراه الولد لوالده فتخصيص العباس بهذا الدعاء مشعر بأنه مهم ومحرض على التزام السؤال به حتى يجعله الداعون أعظم ما يسألون به ربهم ، وذلك لأن معنى العافية الدفاع ، والدفاع المضاف إلى الله تعالى يشمل حماية العبد وحفظه من جميع البلايا والمحن فى الدنيا والآخرة ، ولذا قال صلى الله عليه سلم : (فأن أحداً لم يعط بعد اليقين خيراً من العافية) أى لم يعط أحد بعد معرفة الله حق المعرفة خيراً من العافية ، فأهم مطالب المرء بعد معرفة الله العافية .

وقد سأل النبي صلى الله عليه وسلم ربه أن يرزقه العفو مع أنه معصوم وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ليرشدنا إلى طلب ما هو أكثر نفعاً ، فأن العفو عليه المعول فى الفوز بدار النعيم ، والعافية عليها المعول فى صلاح أمور الدنيا والسلامة من شرورها ومحنها ، وكانت العافية شاملة لخيرى الدنيا

والآخرة، وكانت أفضل ما يعطى العبد بعد يقينه بالله تعالى، لأن أهل اللغة قالوا إن العافية دفاع الله عن العبد، ولم يقيدوا الدفاع عن العبد بأنه فى الدنيا فقط، فيشمل الدنيا والآخرة

ولما كانت العافية من جوامع الكلم كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول لعمه العباس: (ياعم أكثر الدعاء بالعافية)

الأدعية الجوامع

من سنن الدعاء اختيار الأدعية الجامعة وهى الأدعية التى يكون لفظها قليلا ومعناها كثيراً مثل اللهم أنك تعلم سرى وعلا نيتى فاقبل معذرتى، وتعلم حاجتى فأعطنى سؤلى، وتعلم ما فى نفسى فاغفرلى ذنوبى ومثل اللهم أنى أسألك من الخير كله ما علمت منه ومالم أعلم وأعوذ بك من الشر كله ما علمت منه ومالم أعلم. ويفضل من الجوامع الأدعية التى اجتمع فيها خيرا الدنيا والآخرة كقوله تعالى: (ربنا آتنا فى الدنيا حسنة فى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) فعن أنس بن مالك رضى الله عنه أن أكثر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم كان بهذه الكلمات: (ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) لكونها جامعة للخيرات. قال العلماء تنوين حسنة للتكثير، فكانت لطلب كل حاجة حسنة فى الدنيا والآخرة. قيل لأحد الصالحين علمنا دعاء فقال. قوله تعالى: (ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) فقيل له ثم ماذا، فقال وماذا بعد خيرى الدنيا والآخرة، وقالت السيدة عائشة رضى الله عنها إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستحب الجوامع من الأدعية ويترك ما سواها.

وهذه بعض الأدعية التى اخترتها من الكتب المعتبرة أمثلة لذلك.

من أجمع ما سنه النبي ﷺ فى الدعاء

اللهم أصلح لى دينى الذى هو عصمة أمرى ، وأصلح لى دنياى التى فيها معاشى ، وأصلح لى آخرتى التى اليها معادى ، واجعل الحياة زيادة لى فى كل خير . واجعل الموت راحة لى من كل شر . اللهم انى أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى . اللهم اهدنى وسددنى — اذكر بالهدى هدايتك الطريق وبالسداد سداد السهم — اللهم اغفرلىوارحمنى واهدنى وعافنى وارزقنى. اللهم آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار . رب أعنى ولا تعن على ، وانصرنى ولا تنصر على ، وامكر لى ولا تمكر على ، واهدنى ويسر الهدى لى ، وانصرنى على من بغى على .

رب اجعلنى لك شاكراً ، لك ذاكراً ، لك راهبا ، لك مطواعا ، لك مخبتاً ، إليك أواهاً منيباً .

رب تقبل توبتى . واغسل حوبتى . وأجب دعوتى . وثبت حجتى . وسدد لسانى . واهد قلبى . واسلل سخيمة صدرى . اللهم ارزقنى حبك . وحب من ينفعنى حبه عندك . اللهم مارزقتنى مما أحب فاجعله قوة لى فيما تحب . اللهم ما زويت عنى مما أحب . فاجعله فراغا لى فيما تحب . اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك ، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ، ومن اليقين ما تهون به علينا مصيبات الدنيا ، ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا ، واجعله الوارث منا ، واجعل ثأرنا على من ظلمنا ، وانصرنا على من عادانا ، ولا تجعل مصيبتنا فى ديننا ، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ، ولا مبلغ علمنا ، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا .

من أجمع ما سنه النبي ﷺ فى الاستعاذة

أعوذ بالله من جهد البلاء . ودرك الشقاء . وسوء القضاء . وشماتة الأعداء

اللهم انى أعوذ بك من الهم والحزن . والعجز والكسل . والجبن والبخل . وضلع الدَّين . وغلبة الرجال . اللهم أنى أعوذ بك من الكسل والهرم . والمغرم والمأثم . اللهم أنى أعوذ بك من عذاب النار . وفتنة النار ، وفتنة القبر ، وعذاب القبر ، ومن شر فتنة الغنى ، ومن شر فتنة الفقر ، ومن شر فتنة المسيح الدجال . اللهم اغسل خطاياى بماء الثلج والبرد ، ونق قلبي كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس ، وباعد بينى وبين خطاياى كما باعدت بين المشرق والمغرب . اللهم آت نفسى تقواها وزكها أنت خير من زكاها . أنت وليها ومولاها . اللهم أنى أعوذ بك من علم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن دعوة لا يستجاب لها . اللهم أنى أعوذ بك من زوال نعمتك . وتحول عافيتك . وفجاة نقمتك ، وجميع سخطك . اللهم إنى أعوذ بك من الفقر والقلة والذلة . وأعوذ بك من أن أظلم أو أظلم .

دعاء الخضر والياس

من تفسير أبى السعود فى حج سليمان عليه السلام البيت الحرام

باسم الله ماشاء الله ، لا يسوق الخير إلا الله ، ما شاء الله ، لا يصرف السوء إلا الله ، ماشاء الله ما كان من نعمة فمن الله ، ماشاء الله لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

قيل يجتمع الخضر والياس فى موسم الحج ، ويفترقان على هذه الكلمات اه .

دعاء سيدنا آدم الذى تلقاه من ربه فتاب عليه

اللهم إنك تعلم سرى وعلانيتى فاقبل معذرتى . وتعلم حاجتى فأعطنى سؤلى وتعلم ما فى نفسى فاغفر لى ذنوبى . اللهم إنى أسألك إيمانا يباشر قلبى ، ويقينا صادقا حتى أعلم أنه لن يصيبنى إلا ما كتبته لى ، والرضاء بما قسمته لى .

وفى بعض التفاسير . أن ما تلقاه آدم من ربه من الكلمات هو : (ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) وقيل هو : سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا إله إلا أنت ظلمت نفسى فاغفر لى إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت اه .

سيد الاستغفار

اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت . خلقتنى وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت . أعوذ بك من شر ما صنعت . أبوء لك بنعمتك على ، وأبوء بذنبى فاغفر لى ، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت .

ومن أجمع صيغ الاستغفار

اللهم اغفر لى خطيئتى وجهلى ، وإسرافى فى أمرى . وما أنت أعلم به منى . اللهم اغفر لى جدى وهزلى . وخطئى وعمدى . وكل ذلك عندى . اللهم اغفر لى ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، وما أنت أعلم به منى . أنت المقدم وأنت المؤخر ، وأنت على كل شىء قدير .

دعاء الفرج

اللهم كما لطفت فى عظمتك دون اللطفاء . وعلوت بعظمتك على العظماء . وعلمت ما تحت أرضك كعلمك بما فوق عرشك ، وكانت وساوس الصدور كالعلانية عندك ، وعلانية القول كالسر فى علمك ، وانقاد كل شىء لعظمتك . وخضع كل ذى سلطان لسلطانك ، وصار أمر الدنيا والآخرة كله بيدك ، اجعل لى من كل هم أمسيت فيه فرجا ومخرجا . اللهم إن عفوك عن ذنوبى ، وتجاوزك عن خطئى ، وسترك على قبيح عملى أطمعنى أن أسألك مالا أستوجبه منك . فصرت أدعوك آمنا ، وأسألك مستأنساً وإنك المحسن إلى ، وأنا المسىء

إلى نفسى فيما بينى وبينك ، تتودد إلىّ بالنعم ، وأتبغض إليك بالمعاصى ، ولكن الثقة بك حملتنى على الجرأة عليك ، فعد بفضلك وإحسانك علىّ ، إنك أنت التواب الرحيم — يدعو بهذا الدعاء صباحا ومساء .

الصلاة التفريجية

اللهم صل صلاة كاملة ، وسلم سلاما تاما ، على سيدنا محمد ، الذى تنحل به العقد ، وتنفرج به الكرب ، وتقضى به الحوائج ، وتنال به الرغائب ، وحسن الخواتيم ، ويستسقى الغمام بوجهه الكريم ، وعلى آله وصحبه فى كل لمحة ونفس ، بعدد كل معلوم لك .

قال القرطبى رحمه الله من قرأ هذه الصلاة ٤١ مرة أو ١٠٠ مرة كل يوم فرج الله همه وغمه ، ويسميها المغاربة الصلاة النارية ، لأنهم إذا أرادوا تحصيل المطلوب أو دفع المرهوب ، اجتمعوا فى مجلس واحد يقرءونها ٤٤٤٤ مرة .

ويقال لها عند أهل الأسرار مفتاح الكنز . قالوا من قرأها ١١ مرة فى كل يوم أو دبر كل صلاة رزقه الله من السماء والأرض ، ورفع رتبته ، وقالوا من قرأها ٣١٣ مرة رزق كشف الأسرار .

وقال الدهلوى فى حجة الله البالغة : ذكر النبى صلى الله عليه وسلم ، وطلب الخير من الله له ، آلة صالحة للتوجه إلى الله . وسد لمدخل الشرك ، من حيث لم يذكر النبى صلى الله عليه وسلم إلا بطلب الرحمة من الله تعالى ، وأرواح المقربين الذين هم أفاضل الملأ الأعلى ، ووسائط جود الله على الأرض ، إذا فارقت أجسادها استغرقت فى لجة الرحمة ومشاهدة رب العزة . والنفوس التى دونها إذا التصقت بها (اتصلت بها) جلبت منها نوراً وهيئة مناسبة للأرواح . فالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم صلة به وسبب فى قضاء الحوائج ، كما كانت

سببا فى رد روحه اليه ﷺ حتى يرد السلام على من سلم عليه عند قبره . أو بعدمماته مطلقا . قال عليه الصلاة والسلام (ما من أحد يسلم على إلا رد الله على روحى حتى أرد عليه السلام) .

الصلاة المنجية

اللهم صلى على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد ، صلاة تنجينا بها من جميع الأهوال والآفات . وتقضى لنا بها جميع الحاجات . وتطهرنا بها من جميع السيئات . وترفعنا بها أعلى الدرجات . وتبلغنا بها أقصى الغايات من جميع الخيرات فى الحياة وبعد الممات .

قال الشيخ الأكبر : من دعا بها فى جوف الليل ١٠٠٠ مرة لأى حاجة من الحاجات الدنيوية أو الأخروية قضى الله تعالى حاجته .

لفتح باب العلم والتقرب إلى الله والصلة برسوله ﷺ

(الله لا إله إلا هو الحى القيوم ، لا تأخـــذه سنة ولا نوم ، له ما فى السموات ومافى الأرض ، من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه يعلم مابين أيديهم وما خلفهم ، ولا يحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء ، وسع كرسيه السموات والأرض ، ولا يؤوده حفظهما وهو العلى العظيم) . اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد فى كل لمحة ونفس بعدد كل معلوم لك .

يداوم على ذلك ، وقيل يقوله ١٠٠ مرة كل ليلة فإنه يرى المصطفى فى المنام ويفتح له باب العلم .

من قال صلى الله عليك يا محمد ٧٠ مرة ناداه ملك: صلى الله عليك يافلان وقضيت حاجتك .

أسم الله الأعظم

(القول بأن اسم الله الأعظم غير معين وغير معلوم للخلق)

اختلف العلماء فى اسم الله الأعظم ، فقال قوم إنه ليس بمعلوم ولا معين ، بل كل اسم يذكر به العبد ربه حالما يكون مستغرقا فى معرفته ، قاطع الفكر والعقل عن كل ما سوى الله ، فذلك هو الاسم الأعظم . واستدلوا على ذلك بأدلة منها :

١ — ان الاسم ليس له شرف فى ذاته . وانما شرفه بالمسمى . وأكمل الموجودات وأشرفها هو الله سبحانه وتعالى . وكل اسم ذكر العبد به ربه حالما يكون عارفا عظمة الرب فذلك الاسم هو الاسم الأعظم .

٢ — ان الله تعالى فرد محض، أحد محض ، قد تنزه عن التركيب فيستحيل أن يقال بعض أسمائه يدل على الجزء الأشرف من ذاته والبعض الآخر يدل على الجزء الأقل شرفا . ولما كان هذا محالا ، كانت جميع أسمائه دالة على ذاته الموصوفة بالوحدانية الحقيقية . وإذا كان ذلك كذلك امتنع أن يكون بعض أسمائه أعظم من بعض .

٣ — قال رجل لجعفر الصادق . أخبرنى عن اسم الله الأعظم فقال له : ان كل اسم من أسماء الله فى غاية العظمة . إلا أن الإنسان إذا ذكر الله عند تعلق قلبه بغير الله لم ينتفع بالذكر . وإذا ذكر الله عند انقطاع طمعه فى غير الله كان ذلك هو الاسم الأعظم .

٤ — وقال رجل لأبى يزيد البسطامى . أخبرنى عن اسم الله الأعظم فقال أبو يزيد : اسم الله الأعظم ليس له حدود . وإنما فرغ قلبك لوجه الله فإذا كنت كذلك فاذكر أى اسم شئت من أسمائه تعالى .

٥ — العبد فى أنفاسه الأخيرة ينقطع أمله من الخلق بالكلية فلم يبق فى قلبه

رجاء ولا خوف إلا من الله تعالى فلا جرم إذا ذكر العبد ربه بأى اسم فقد ذكره بأسمه الأعظم الذى من سأله به أعطاه .

(القول بأن أسم الله الأعظم معين معلوم للخلق)

الذين قالوا إن اسم الله الأعظم معين معلوم للخلق اختلفوا فى لفظه ، فنهم من قال إنه (هو) ومنهم من قال إنه (الله) ومنهم من قال إنه (الحى القيوم) ومنهم من قال إنه (ذو الجلال والإكرام) ومنهم من قال إنه (فى الحروف المذكورة فى أول السور) ومنهم من قال غير ذلك وكل منهم يعتمد على هدى المصطفى صلى الله عليه وسلم .

(الذين قالوا إن اسم الله الأعظم هو (هو) استدلوا بالآتى)

١ — إن (هو) كناية عن فرد موجود على سبيل الغيبة والفردانية والوجود والغيبة من الصفات الواجبة لله تعالى ، الدالة على غاية العز والعلو والكبرياء ، لأن الواحد الذى لا تدركه الأبصار غاية فى الجلال ، فالصفات التى يدل عليها (هو) لا تليق إلا به سبحانه وتعالى . ولذا قالوا : إن (هو) أخص أسماء الله تعالى :

٢ — من أراد أن يخاطب ملكا عظيما خاطبه بضمير الغيبة ولو كان حاضراً . فلا يقال للملك أنت قلت كذا وكذا . ولكن يقال الملك قال كذا وكذا فدل ذلك على أن كلمة (هو) أعظم الكنايات عن الله سبحانه وتعالى

٣ — روى الامام أحمد وأبو داود والترمذى عن أسماء بنت يزيد رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال (اسم الله الأعظم فى هاتين الآيتين : (وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم) وفاتحة سورة آل عمران (الم الله لا إله إلا هو الحى القيوم) فلقد ذكر لفظ (هو) مرتين فى هذا الحديث . كما ذكر مرتين فى حديث أسماء الله الحسنى : (هو) الله الذى لا إله إلا (هو)

الرحمن الرحيم الملك القدوس . . .) الخ

وقال تعالى (قل هو الله احد) وقال : (قل هو ربى لاإله إلا هو) ، ولهذا عد بعضهم لفظ (هو) من الأسماء الحسنى بل قال بعضهم إنه الاسم الأعظم .

٤ — إن المبالـغ فى الدعاء من القائلين بهذا يقول يا هو يامن لا هو الا هو يامن به هوية كل هو .

ولا يقال إن الأسماء الحسنى زادت عن تسعة وتسعين إذا عد (هو) منها . لأن حديث أسماء الله الحسنى لايقصد به الحصر. فقد روى بروايات ورد فيها أسماء أخرى ، مثل المنان ، وبديع السموات والأرض ، بل ورد فى رواية للحاكم وأبى نعيم ، زيادة الحنان والمنان والفرد والكافى والنصير والجميـل والصادق والمحيط والوتر والفـاطر والعلام والملك والمدبر وذو الطول وذو المعارج والخلاق وذو الفضل العظيم ، وفى رواية لابن ماجة زيادة أسماء وهى الأبد والساطع والمبين والبرهان، فهذا يفيد أن أسماء الله الحسنى كثيرة . ولكن أصح ماورد فيها، الذى ورد فى كتاب الله العزيز وهى الأسماء التى اشتهرت بين الأمة المحمدية . أما الحـديث (إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحد من أحصاها دخل الجنة) فمفاده أن من حفظها وذكر اللـه تعالى بها واستحضرها واستشعر آثارها من الخوف والخشية والرجاء دخل الجنة إن شاء اللّه تعـالى وهذا مراد الحديث ، وليس مراده الحصر لأسماء اللـه تعالى فى هذه الأسماء لأن كمالات اللّه تعالى من أسماء وصفات لا تحصر ولانهاية لها ، ولـكن اللـه لا يكلفنا إلا وسعنا وطاقتنا .

ويقوى القول بعـدم الحصر لأسماء الله الحسنى . ما رواه الامام أحمد فى مسنده عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (ما أصاب أحداً قط هم أو حزن فقال اللهم إنى عبدك وابن عبدك وابن

أمتك ناصيتي بيدك ماض فيّ حكمك عدل فى قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته فى كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به فى علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور بصرى وجــلاء حزنى وذهاب همى وغمى إلا أذهب الله همه وغمه وحزنه وأبدله مكانه فرحا). قيل يارسول الله ألا نتعلمها فقال (بلى ينبغى لمن سمعها أن يتعلمها) ، فقوله صلى الله عليه وسلم (أو استأثرت به فى علم الغيب عندك) يفيـد أن لله أسماء لم نعلمها وقد استأثر الله بعلمهـا ولم يظهر عليها أحداً من خلقـه . نسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى .

(الذين قالوا إن اسم الله الأعظم هو (الله) استدلوا بالآتى :)

١ — إن هذا الاسم لم يطلق على غير الله تعـالى . فالعرب كانوا يسمون الأوثان آلهـــة ولا يطلقون اسم الله إلا على الإله الحق . قال تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله) وقال تعـالى (هل تعـلم له سميا) والمعنى هل تعلم من اسمه الله غير الله . ولما كان هـذا الاسم مختصا بالله وحده وجب أن يـكون أعظم الأسماء .

٢ — إن هذا الاسم هو الأصل فى أسماء الله تعالى وسائر الأسماء الأخرى مضافة إليه . قال تعالى (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها) فأضاف سائر الأسماء الحسنى إلى الله تعالى .

٣ — يقال إن الرحمن الرحيم الملك القدوس من أسماء الله تعالى ، ولا يقال إن اللّه اسم للرحمن الرحيم فدل هذا على أن (اللّه) أصل الأسماء الحسنى .

٤ — إن الـكافر إذا قال لا إله إلا (هو) لم يصح إسلامه لأن كلمة (هو) للكناية ، فلعل الـكافر يـكنى بهـا عن معبوده الباطل ، فإذا قال لا إله إلا اللّه صح إسلامه .

وقال تعالى : (فاعلم أنه لا إله إلا الله) وقال صلى الله عليه وسلم (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم) فالنجاة من النار والفوز بالجنة ، وصون النفس من القتل والمال من النهب ، والولد من الأسر ، كل هذه أشياء موقوفة على هذا الاسم ، فوجب أن يكون أشرف الأسماء .

٥ — أول آية من القرآن الكريم بسم الله الرحمن الرحيم على قول، وعلى قول الحمد لله رب العالمين ، وهذا الاسم (الله) مذكور فى كلتا هاتين الآيتين،فيكون الله أول أسماء الله المذكورة فى القرآن الكريم ، وهذا يدل على الشرف .

٦ — كل الناس يقدمون هذا الاسم على غيره من أسماء الله ، فيقولون باسم الله الطالب الغالب ، ويقولون الله الملك الرحيم الجواد الكريم .

٧ — إن هذا الاسم مشتق من العبادة : فقد حصل له شرف الاسم وشرف الصفة ، أما شرف الاسم فلأنه متصل بالله تعالى ، وأما شرف الصفة فلأنه مشتق من العبادة (من أله بمعنى عبد) ومعنى العبادة هو المقصود الأصلى من الخلق . قال تعالى : (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) .

ولما كان فى هذا الاسم شرف الاسم وشرف صفة العبودية ثبت أنه أعظم أسماء الله تعالى .

(الذين قالوا إن اسم الله الأعظم هو : الحى القيوم)

استدلوا بالآتى :

طلب أبى بن كعب رضى الله عنه ، من النبى ﷺ ، أن يعلمه اسم الله الأعظم فقال له : (هو فى قوله تعالى الله لا إله إلا هو الحى القيوم أو فى قوله تعالى الم الله لا إله إلا هو الحى القيوم) وليس الاسم الأعظم قولنا : (الله لا إله إلا هو)، لأن هذا القول موجود فى آيات كثيرة ، فلما حصر الرسول الاسم الأعظم فى هاتين الآيتين ، علمنا أن الاسم الأعظم هو : (الحى القيوم) .

(الذين قالوا إن اسم الله الأعظم هو : ذو الجلال والإكرام)

استدلوا بالآتي :-

١ - قوله ﷺ :(ألظُّوا ياذا الجلال والإكرام) ألظوا بمعنى: الزموا وداوموا وألحوا .

٢ - إن لهذا الاسم دلالة على جميع الصفات الكمالية المعتبرة في الألوهية، لأن جميع الصفات المعلومة للخلق لا تخرج عن سلب النقائص وإضافة الكمالات ، أما ذو الجلال فهو إشارة إلى سلب النقائص ، وأما ذو الإكرام فهو إشارة إلى نسبة الكمالات إليه سبحانه وتعالى ، فالجلال إشارة إلى التقديس عن غايات العقول والأوهام ، وذلك مشعر بالبعد ، والإكرام إشارة إلى صفات الرحمة والإحسان ، وذلك مشعر بغاية القرب ، فقولنا ذو الجلال والإكرام إشارة إلى كونه تعالى قريبا بعيدا ظاهرا باطنا .

٣ - عن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله ﷺ سمع رجلا يقول : (ياذا الجلال والإكرام) ، فقال: (قد استجيب لك فسل) .

وقد استدل الذين قالوا إن اسم الله الأعظم هو :

(في الحروف المذكورة في أوائل السور) بما يأتي :

(١) روى أن سيدنا عليا كرم الله وجهه، كان إذا صعب عليه أمر دعا الله وقال : يا كهيعص ياحم عسق .

(٢) كان سعيد بن جبير رضي الله عنه يقول : من هذه الأحرف مايهتدى إلى كيفية تركيبها مثل: (الر) و (حم) و(ن). [أقول فإن تركيبها : (الرحمن)]، ومنها ما لا يهتدى إلى كيفية تركيبها واسم الله الأعظم فيها .

أذكار قال رسول الله ﷺ ان اسم الله الأعظم فيها

(١) يا ودود يا ودود ، يا ذا العرش المجيد ، يا مبدىء يا معيد ، يا فعالا لما يريد ، أسألك بنور وجهك الذى ملأ أقطار أركان عرشك ، وأسألك بقدرتك التى قدرت بها على خلقك ، وبرحمتك التى وسعت كل شيء ، لا إله

إلا أنت يا مغيث أغثني يقال هذا الدعاء ثلاث مرات ، بعد الوضوء وصلاة أربع ركعات . قال أبو القاسم القشيرى فى رسالته عن أنس بن مالك رضى الله عنه : أنه كان فى عهد رسول الله ﷺ رجل يتجر من المدينة إلى الشام ، ومن الشام إلى المدينة ، فبينما هو مسافر تعرض له لص ، فقال التاجر للص شأنك ومالى وخل سبيلى ، فقال اللص للتاجر المال مالى وإنما أريد نفسك ، ولا أقبل إلا قتلك ، فقال التاجر للص : أنظرنى حتى أتوضأ وأصلى وأدعو ربى ، فقال اللص للتاجر : أفعل ما تريد ، فقام التاجر وتوضأ وصلى أربع ركعات ، ثم رفع يديه إلى السماء ودعا بالدعاء السابق ثلاث مرات ، فلما فرغ من دعائه أقبل فارس على فرس أشهب ، وقتل اللص ، ولما عاد التاجر إلى المدينة سالما ودخل على النبي ﷺ وأخبره القصة قال له : (لقد لقنك الله أسماءه الحسنى التى إذا دعى بها أجاب وإذا سئل بها أعطى) . انتهى باختصار .

(٢) رب رب رب . عن أبى الدرداء وابن عباس رضى الله عنهما أنهما قالا : اسم الله الأكبر (رب رب رب) وعن عائشة رضى الله تبارك وتعالى عنها أنها قالت : قال رسول الله ﷺ : (إذا قال العبد يارب يارب يارب ، قال الله تعالى لبيك عبدى سل تعط) .

(٣) اللهم إنى أسألك بأنك أنت الله لا إله إلا أنت ، الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد . روى عبد الله بن بريدة رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ ، سمع رجلا يدعو الله بهذا الدعاء فقال له : (قد سألت الله بالاسم الذى إذا سئل به أعطى وإذا دعى به أجاب) .

(٤) يا أرحم الراحمين يا أرحم الراحمين يا أرحم الراحمين . عن أبى أمامة رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال : (ان لله تعالى ملكا موكلا بمن يقول يا أرحم الراحمين فمن قالها ثلاثا قال الملك إن أرحم الراحمين أقبل عليك فسل) .

وكان الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز يدعو الله بقوله : يامن وسعت رحمته كل شيء أنا شيء فلتسعني رحمتك يا أرحم الراحمين .

(٥) اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت يامنان ياحي ياقيوم يا بديع السموات والأرض ياذا الجلال والإكرام . روى أن رسول الله ﷺ مر بأبي عياش وهو يصلي ويدعو الله بهذا الدعاء فقال : (لقد دعا الله تعالى باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى) .

(٦) (لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) . عن سعد بن أبي وقاص رضي الله تبارك وتعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال : (دعوة ذي النون عليه السلام إذ دعا وهو في بطن الحوت لا إله إلا أنت سبحانك أني كنت من الظالمين فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له) .

(٧) في الحديث : (اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب في ثلاث سور من القرآن : في البقرة وآل عمران وطه) . قال أبو أمامة رضي الله عنه : فالتمستها فوجدتها في آية الكرسي : (الله لا إله إلا هو الحي القيوم لاتأخذه سنة . . .) الخ . وفي فاتحة سورة آل عمران : (الم الله لآ إله إلا هو الحي القيوم) . وفي سورة طه : (وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلما) .

(٨) روى الإمام أحمد وأبو داود والترمذي عن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها : أن رسول الله ﷺ قال : (اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين : وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم وفاتحة سورة آل عمران : الم الله لا إله إلا هو الحي القيوم) .

(٩) وقيل يلتمس اسم الله الأعظم في آخر سورة الحشر : (هو الله الذي لاإله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم ، هو الله الذي لا إله إلا هو

الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون ، هـو الله الخالق البارىء المصور له الأسماء الحسنى يسبح له مافى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم) .

(القول بأن اسم الله الأعظم معين ولكنه غير معلوم للخلق)

قد سبق تفصيل القول بأن اسم الله الأعظم غير معين وغير معلوم للخلق وتفصيل القول بأن اسم الله الأعظم معين معلوم للخلق أما القول بأن اسم الله الأعظم معين غير معلوم للخلق فقد وردت به روايات كثيرة . يقال أن لله أربعة آلاف اسم، ألف لايعلمه إلا الله تعالى، وألف لا يعلمه إلا الله والملائكة وألف لايعلمه إلا الله والملائكة والأنبياء، وألف يعلمه المؤمنون ، ثلثمائة منه فى التوراة وثلثمائة منه فى الانجيل وثلثمائة منه فى الزبور ومائة فى القرآن تسعة وتسعون منها ظاهرة وواحد مكتوم من احصاها دخل الجنة، وروى أبوهريرة رضى الله عنه أن رسـول الله ﷺ قال : (إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدا ، إنه وتر يحب الوتر من أحصاها دخل الجنة) .

ويوفق بين الحديث الشريف وبين الروايات والأخبار الواردة فى عدد أسماء الله بأنه (أولا) لاحصر لاسماء الله فأنها كمالات وكمالات الله تعالى لاتحصر ولانكلف الامعرفة الذى لنا به طاقة وهو التسعة والتسعون اسما وإن كان لله غيرها (وثانيا) بأن من أحصى التسعة والتسعين اسما دخل الجنة أى من وعاها وفهم معناها دخل الجنة فأنها نصاب صالح لما ثبت لله من الصفات وما يسلب عنه من أضدادها ولها بركة وتمكن فى حظيرة القدس وصورتها إذا استقرت فى صحيفة عمل المرء انفسحت له رحمة الله تعالى ورضوانه وليس مراد الحديث الحصر كما سبق عند (هو) .

وقيل إن معنى : (من احصاها دخل الجنة) من التقطها من الكتاب العزيز والسنة النبوية وأحصاها دخل الجنة .

وإن قيل: إذا كانت صفات الله وكمالاته غير متناهية فكيف تحصى أسماؤه .

قيل إن تخصيص التسعة والتسعين بالإحصاء ليس فيه نفى الزائد على التسعة والتسعين من الأسماء لأن قولنا ان لخالد ألفى درهم أعدها للتجارة لا يدل على أنه ليس لخالد من الدراهم أكثر من الألفين فكذلك تخصيص هذا العدد بالإحصاء لا يدل على أنه ليس لله من الصفات غير هذه التسعة والتسعين .

ويدل على هذا التأويل ماروواه الإمام أحمد فى مسنده عن ابن مسعود رضى الله عنه (فيما سبق) إن رسول الله ﷺ قال : (ما أصاب أحدا قط هم أو حزن فقال اللهم انى عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتى بيدك ماض فى حكمك عدل فى قضاؤك أسألك بكل أسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته فى كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به فى علم الغيب عندك) فأن قوله ﷺ : (أو استأثرت به فى علم الغيب عندك) يفيد أن لله أسماء لا نعلمها وقد استأثر الله بعلمها ولم يظهر عليها أحدا من خلقه ويحتمل أن يكون سبب هذا التخصيص أن هذه الأسماء أعظم وأجل من غيرها وأنها نصاب كامل لذكر الله بأجل الصفات .

وقد رتبها بعض الذاكرين كما يلى : هو الله الذى لا إله إلا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارىء المصور الغفار القهار الوهاب الرزاق الفتاح العليم القابض الباسط الخافض الرافع المعز المذل السميع البصير الحكم العدل اللطيف الخبير الحليم العظيم الغفور الشكور العلى الكبير الحفيظ المقيت الحسيب الجليل الكريم الرقيب المجيب الواسع الحكيم الودود المجيد الباعث الشهيد الحق الوكيل القوى المتين الولى الحميد المحصى المبدىء المعيد المحيي المميت الحى القيوم الواجد الماجد الواحد الأحد الصمد القادر المقتدر المقدم المؤخر الأول الآخر

الظاهر الباطن الوالى المتعالى البر التواب المنتقم العفو الرءوف مالك الملك ذو الجلال والإكرام المقسط الجامع الغنى المغنى المانع الضار النافع النور الهادى البديع الباقى الوارث الرشيد الصبور .

قالوا : وإنما جعل الاسم الأعظم مكتوما ليصير ذلك سببا لمواظبة الخلق على جميع الأسماء ، رجاء أن يمر اسم الله الأعظم على لسان الذاكر ، ولهذا السبب أخفى الله الصلاة الوسطى فى الصلوات ، وليلة القدر فى الليالى .

وقال الحكيم الكبير أبو البركات البغدادى ، فى كتابه المعتبر ، فى تحقيق الكلام على اسم الله الأعظم : أننا إذا استدللنا بوجود الكائنات الممكنة الوجود، على وجود الله الواجب الوجود ، كان هذا من باب المعرفة العرضية لا الذاتية ، لأننا نعلم بهذه المعرفة لازمين من لوازمها : (١) استناد كل ماسواه إليه (٢) استغناؤه عن كل ماسواه ، أما المعرفة الحقيقية فلم تحصل للآن ، لأننا لم نعرف خصوصية ذاته .

بقى هنا بحث ، وهو هل يمكننا أن نعرف حقيقة ذاته ؟ حتى يكون علمنا بها جاريا مجرى إدراك القوة اللامسة للحرارة ، وجاريا مجرى إدراك القوة الباصرة للضوء .

فأذا كان ذلك ممتنعا ، فلأن إدراك هذه الحقيقة فى غاية الجلالة ، والأرواح البشرية لا تتحمل ذلك الإدراك وتجلى ذلك النور .

وإن كان ذلك ممكناً ، فهل لذلك الإدراك من آلة مخصوصة ؟ تشبه العين بالنسبة للبدن ، أو ليس له آلة سوى جوهر النفس الناطقة .

وبتقدير أن يكون ذلك الإدراك ممكنا وله آلة مخصوصة ، فتلك الآلة المخصوصة يحتمل أن تكون غير مخلوقة ويحتمل أن تكون مخلوقة ، ولكن المانع من حصول الإدراك بها هو اشتغال النفس بتدبير هذا البدن ، أو المانع

شيء آخر لا نعلمه ، فكل هـــذه الوجوه محتملة ولم يقم دليل قاطع على نفى بعض هـذه الاحتمالات أو إثباتها .

إذا تبين هذا فيقال : لو ثبت أن بعض المخلوقين لا يمتنع فى حقهم معرفة الله بالذات ، أمكن تسمية حقيقته باسم يدل عليها من حيث أنها هى هى .

ولأنه لم يمكنا معرفة ذلك الاسم ، لأن الاسم لا يفيد إلا ما كان متصوراً عند العقل ، فلا يمكننا معرفة تلك الحقيقة (معرفة الله تعالى بالذات) .

ولما لم تكن تلك الحقيقة معلومة لنا ، استحال أن يوجد عندنا اسم يدل عليها ، وحينئذ لا يفهم معنى هذا الاسم إلا من عرف تلك الحقيقة .

إذا ثبت هذا نقول : إن الله يعرف نفسه معرفة حقيقية ذاتية لاعرضية فأذا نور الله قلب عبد من عبيده بتلك المعرفة ، لم يبعد أن يطلعه على اسم تلك الحقيقة المخصوصة .

وعلى هذا التقدير يكون هذا الاسم أخص اسماء الله تعالى وأشرفها وأعلاها وهو الاسم الأعظم ، الذى لا يبعد أن ينطاع به كل ما فى السموات والأرض اه . قول الحكيم البغدادى ببعض الاختصار .

تعدد اسماء الله العظمى

ذكرت صيغ لأسماء الله العظمى المأثورة ، كما ذكرت ألفاظ لاسماء الله الحسنى المسنونة ، فإن قيل : كيف تعددت اسماء الله العظمى ؟ يقال تعددت أسماء الله الحسنى والعظمى كما تعددت صفاته العليا ، فلما ثبت تعدد الصفات ، ثبت تعدد الأسماء .

ويوضح هذا ما تداوله العلماء على ألسنتهم وأقلامهم ، من أن زيدا الشاعر الكاتب له صورتان فى الذهن ، صورة أنه كاتب ، وصورة أنه شاعر ،

فتعددت صورة زيد بتعـدد صفاته . قال صاحب حجة الله البالغـة : فـكذلك الحق سبحانه وتعالى ، له قرب وتجليات فى مواطن من عالم المثال ، والاسم الذى يدل على أعظم تجل وقرب من تجليات الحق ، هو الاسم الأعظم ، الذى تداوله الملأ الأعلى أكثر تداول ، ونطقت به التراجمة فى كل عصر اﻫ دهلوى أقول : ويقصد بالتراجمة الذين عرفوا ربهم .

شبه لبعضهم فى أن الدعاء عديم الفائدة

لانود بإيراد هذه الشبه نقض غزلنا أنكاثا من بعد قوة ، من بعد أن ملأ الله قلوبنا إيمانا بوجوب الدعاء ، وثبوت فائدته ، ولـكنا نوردها للرد عليها ، بما يجعلها كأن لم تـكن ، ولو كانت هذه الشبه قوية بحيث لا تدحض بالرد عليها لما ذكرناها ، وتمنينا أن لو خفيت على الناس ، فكان ذكرها والرد عليها خيرا من تركها بلا رد ، لأنها لو دارت على ألسنة الفلاسفة العجر بعد الرد عليهاصارت قولا بلا بينة عارية عن الصـواب ، فزال طـلاؤها وامحى بهرجهـا ، وبقيت مشوهة لا تجد الى القلوب سبيلا ، ومن بها العقـلاء من الكرام باللغو ، وهاك هذه الشبه .

(١) الشبهه الأولى : إذا كان الله قد أراد فى الأزل حصول الشيء المطلوب بالدعاء حصل بدون دعاء ، وإن لم يرد الله فى الأزل حصوله لم يكن فى الدعاء فائدة ، وربما عبر بعضهم عن هـذا المعنى بقوله : إن الأقدار سـابقة والأقضية أزلية والدعاء لا يغير الأحكام الأزلية فلافائدة فيه .

والرد على هذه الشبهة : أنها تقتضى ألا يكون للعبد عمل ، لأنها تقتضى أن يقعد العبد والله يفعل مايشاء مع أن الله قال لرسوله : (وقل اعملو) والدعاء عمـــل وسـبب والأسباب لا تنـكر . بل أن هـذه الشـبهة تقتضى تعطيل قـدرة الله تعالى أصلا ، فلا يكون للقدرة أى تعلق بأى شيء ، لأن ذلك الشيء

إذا كان معلوم الوقوع أزلا، فلا حاجة للقدرة ، وإذا كان معلوم عدم الوقوع أزلا ، فلا تأثير للقدرة فيه ، وهذا باطل ، لأن قدرة الله تتعلق بإيجاد الشيء إذا كان معلوم الوقوع أزلا، ولا يوجد شيء بدون أن تتعلق به قدرة الله القادر .

ولما كان وجود الشيء بلا سبب أو بدون أن تتعلق به قدرة الله باطلا ، كانت هذه الشبهة باطلة .

(٢) الشبهة الثانية : إذا كان الله تعالى علام الغيوب ، يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، فأى حاجة للداعى إلى الدعاء ؟ وفى معنى هذه الشبهة : أن النمروذ وقومه أوقدوا النيران لألقاء سيدنا إبراهيم عليه السلام فيها ، لأنه عاب آلهتهم ، ولما هموا بألقائه فيها نزل عليه سيدنا جبريل ، وطلب منه أن يدعو ربه لينجيه من النار ، فقال سيدنا إبراهيم : حسبي من سؤالى علمه بحالى فاستوجب الخليل درجة عالية بترك الدعاء ، ونجاه الله من النار .

والجواب على هذه الشبهة : أنه ليس المقصود بالدعاء إعلام الله تعالى بشيء لا يعلمه فأن الإعلام يطلب للجاهل ، والله تعالى بكل شيء عليم ، وإنما المقصود بالدعاء إظهار الذلة والمسكنة والانكسار والاعتراف بأن كل شيء بيد الله تعالى ، وأن الداعى محتاج إلى رحمة ربه عاجز عن دفع الضر عن نفسه معول على قدرة خالقه .

(٣) الشبهة الثالثة : المطلوب بالدعاء إن كان من صالح العبد فالكريم الحق لا يترك صالح عبده ، والحكيم الحق لا يهمل المصلحة ، وإن لم يكن من صالح العبد ، بأن كان من دعاء الشر ، فالحكيم الحق لا يجيب دعاء الشر . قال تعالى : (ويدعو الإنسان بالشر دعاءه بالخير وكان الإنسان عجولا) أى أن الإنسان فى بعض الأحيان يدعو بغير الصالح لنفسه لأنه عجول ، ولا يدرى المصلحة أين تكون .

ويجاب على هذه الشُبهة وغيرها من الشُبه : بأنه يجوز أن يكون حصول الشيء المطلوب مشروطا بحصول الدعاء ، فيكون ترك الدعاء ليس من المصلحة ، وتكون المصلحة فى الدعاء .

(٤) الشُبهة الرابعة : روى أنه ﷺ قال : (قدر الله المقادير قبل أن يخلق الخلق بكذا وكذا عاما) والمراد بكذا وكذا عاما الأزل لأنه لا أعوام قبل خلق الدنيا ، وعنه ﷺ : (جرى القلم بما هو كائن) فأذا ثبت أن الأشياء مقدرة فى الأزل ، قدرها الله قبل أن يخلق الخلق فأى فائدة فى الدعاء ؟

وللرد على هذه الشُبهة يقال أيضا إنه يجوز أن يكون حصول الشيء المطلوب معلقافى الأزل على حصول الدعاء ، أى إن مشروطية حصول المطلوب على الدعاء ، من القضاء والقدر المعلق على الدعاء .

(٥) الشُبهة الخامسة : قد ثبت أن أجل مقامات الإيمان وأعلاها الرضاء بقضاء الله وقدره ، والدعاء ينافى ذلك ، لأنه اشتغال بطلب مراد النفس ، وترجيح لمراد الداعى على مراد الله .

والجواب على هذه الشُبهة : إن الله أمرنا بالدعاء وغضب على من لم يتضرع إليه ، ويسأله أن يمن عليه بفضله وخيره ونعمه ، وأن يرد عنه الشرور التى تقلقه وتقض مضجعه ، فهو القادر المختار ، وعنده أم الكتاب ، يمحو عن عبده من الشر ما يشاء ، ويثبت له من الخير ما يشاء . قال تعالى : (يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) وأن الدعاء عبادة بل هو مُخ العبادة والله سبحانه وتعالى لا يرضى عمن ترك أجل عبادة يحبها ، تدر رحماته وترد قضاءه .

الشُبهة السادسة : الدعاء يشبه الأمر والنهى ، ويشبه تذكير الناسى

وتنبيه الغافل ، ويشبه حمل البخيل على الكرم والجود ، وكل ذلك سوء أدب من العبد اللئيم فى حق الرب الكريم .

والجواب على هذه الشُبهة : أن الأمر والنهى فى الدعاء لفظى فقط ، ومعناه لغة التضرع والسؤال ، والدعاء واجب مأمور به . قال تعالى : (واسألوا الله من فضله) وهذه الآية نص فى وجوب الدعاء ، كما أنها نص فى أن الدعاء بمعنى السؤال ، وقال تعالى : (ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لايحب المعتدين) أى ادعوا الله خاضعين متذللين بصوت خافت ، فأنه لا يحب المجاوزين للحد فى الصياح . وقال تعالى : (قل ما يعبأ بكم ربى لولا دعاؤكم) أى يامحمد قل لأمتك لولا الدعاء لم يأبه الله بكم ، ولم يوجه إليكم عنايته ، فيمن عليكم بالخير ، ويدفع عنكم الشر .

(٧) الشُبهة السابعة : قال ﷺ : (من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين) .

والجواب على هذه الشُبهة : أن الذى شغله ذكر ربه عن حظ نفسه ، فنسى نصيبه من الدنيا ، يمن الله عليه بالرضاء والرزق بغير حساب ، ويفتح عليه بالبركات والعطاءات والخيرات التى لا يحتاج معها إلى سؤال ، ولا يفوتنا أن الرد على الشُبهة الثالثة رد على هذه الشُبهة .

وهناك مذهب وسط بين الدعاء وتركه وهو : أنه يجب أن يكون العبد الذى يدعو الله بلسانه صاحب رضا بقلبه ، ليجمع بين الأمرين . قال الشقيرى رضى الله عنه : الأولى أن يقال إن الأوقات مختلفة ، فمن وجد فى نفسه ميلا إلى الدعاء دعا وكان هذا وقت الدعاء ، ومن وجد فى نفسه ميلا للسكوت سكت وكان هذا وقت السكوت اه . ومعنى أن الأوقات مختلفة : إن أحوال النفس مختلفة بالنسبة للأوقات .

(٨) إذا قيل أنه لا فائدة فى الدعاء لأن كل شيء مقدر أزلا ولا تغيير ولا تبديل فيما قدر الله .

يقال : إنه ثبت أن الله فاعل مختار يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء فأذا لم يغير الله فى ملكه من حال إلى حال ويختار مايشاء ويفعل مايريد كان علة والعلة غير مدبرة ولا مختارة فى الفعل والترك .

خاتمة

تنويه النبي ﷺ بعظم القرآن

قد نوه النبي ﷺ بعظم القرآن فى أحاديث كثيرة ، منها : أما بعد فأن أصدق الحديث كتاب الله . وأفضل الهدى هدى محمد ﷺ إلى آخر الحديث . القرآن شافع مشفع ، شاهد مصدق ، من جعله أمامه قاده الى الجنة ، ومن جعله خلفه ساقه الى النار ومن قال بالقرآن صدق ، ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل . القرآن هو الدواء . القرآن يحي القلوب الميتة . القرآن ظاهره أنيق ، وباطنه عميق . القرآن غنى لافقر بعده ولا غنى دونه .

وروى الدرامى وأبو داود عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :(ستكون فتن كقطع الليل المظلم) فقلت يارسول الله وما المخرج منها ؟ قال : (كتاب الله تبارك وتعالى فيه نبأ من قبلكم ، وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن اتبع الهدى من غيره أضله الله ، فهو حبل الله المتين ، ونوره المبين . والذكر الحكيم ، والصراط المستقيم ، وهو الذى لاتزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ولا تتشعب به الآراء ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا تمله الأتقياء ، ولا يخلق على

كثرة الرد ، ولا تنقضى عجائبه . معنى لا يخلق على كثر الرد : لا يصير خلقا باليا أى رثا مملولا لكثرة ترديده وتلاوته صباحا ومساء

القرآن أفضل الذكر

روى الديلمى والخطيب عن أنس : (إذا أحب أحدكم أن يحدث ربه فليقرأ القرآن) وروى ابن قانع عن أنس : (أفضل العبادة قراءة القرآن) وروى الديلمى عن أبى هريرة رضى الله عنه : (أعبد الناس أكثرهم تلاوة للقرآن) وفى فضائل القرآن للإمام العلم أبى عبيد ، القاسم بن سلام ، عن ابن مسعود رضى الله عنه ، أن النبى ﷺ قال : (إن هذا القرآن مأدبة الله فتعلموا من مأدبته ما استطعتم إن هذا القرآن هو حبل الله ، وهو النور المبين ، والشفاء النافع ، عصمة من تمسك به . ونجاة من اتبعه ، لا يعوج فيقوم ، ولا يزيغ فيستعتب ، ولا تنقضى عجائبه ، ولا يخلق عن كثرة الرد ، فاتلوه فأن الله يأجر على تلاوته بكل حرف عشر حسنات ، أما أنى لا أقول الم حرف ، ولكن ألف عشر ، ولام عشر ، وميم عشر) .

وروى الطبرانى فى كتابه آداب النفوس ، عن سمرة بن جندب ، أن النبى ﷺ قال : (خير الكلام أو خير العمل أربع إلا القرآن وهن من القرآن : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر) وزيد فى رواية (لا يضرك بأيهن بدأت) أى إن القرآن أفضل الكلام ، أو أفضل العمل ، وبعده فى الأفضلية هذه الكلمات الأربع : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر. على أنها من القرآن.

وقال القرطبى رضى الله عنه ، قال سفيان الثورى رضى الله عنه : سمعنا أن قراءة القرآن إذا عمل به أفضل من الذكر ، أى إذا قرئ بتدبر وعمل بما فيه من الحلال والحرام . . . الخ

وقد علق على هذا الترمذى الحكيم بقوله : إن الذكر شيء يبتدعه العبد من تلقاء نفسه من علمه بربه ، والقرآن هو شيء تكلم به الرب سبحانه وتعالى ، فأذا تلاه العبد فأنما يتكلم بشيء قدكان عند الرب ، سبحانه وتعالى ، ولم يخلق منذ نزل إلى العباد ، ولا يخلق ولا يتدنس ، فهو على طلاوته وطيبه وطهارته ، وله كسوة ، والذكر الذى يذكره العبد مبتدعا عن نفسه لا كسوة له ، وأيضاً هو الذى لا يؤلفه العبد ، وليس تأليف الله تعالى كتأليف العبد اه . ومعنى أن القرآن لا يخلق أنه باق على جدته وطلاوته ومعنى له كسوة : إن له معانى باطنية لا يدركها إلا الأتقياء أولوا العلم .

ومن كلام القرطبى نفسه فى القرآن الكريم : وإنما كان القرآن أفضل الذكر والله أعلم ، لأنه اشتمل على جميع الذكر ، من تهليل ، وتحميد ، وتسبيح وتمجيد ، وتذكير ، وعلى الخوف والرجاء ، والدعاء والسؤال ، والأمر بالتفكير فى آيات الله ، والاعتبار بمصنوعاته ، إلى غير ذلك ، مما شرع فيه من واجبات الأحكام ، وفرق فيه بين الحلال والحرام ، ونص فيه من غيب الأخبار ، وكرر فيه من ضرب الأمثال والقصص والمواعظ . قال تعالى : (ما فرطنا فى الكتاب من شيء) فمن وقف على ذلك وتدبره ، فقد حصَّل أفضل العبادات ، وأسنى الأعمال والقربات ، ولم يبق عليه ما يطالب به بعد ذلك . اه

وقد روى أن رسول الله ﷺ ، سئل أى الأعمال أفضل فقال : (قراءة القرآن فى الصلاة ثم قراءة القرآن فى غير الصلاة) وقال سهل بن عبد الله التسترى : (يمن الله على من يشاء من عباده بتلاوة القرآن) معنى قوله تعالى : (ولكن الله يمن على من يشاء من عباده) .

بيان أن الذكر هو القرآن

روى الترمذى عن أبى سعيد الخدرى ، أن رسول الله ﷺ قال :

(يقول الرب تبارك وتعالى من شغله قراءة القرآن عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين) وروى البخارى عن رسول الله ﷺ أن الله تعالى يقول : (من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين) .

فنى هذين الحديثين : كل من قراءة القرآن والذكر سبب لمسبب واحد ، وهو إعطاء الله العبد من الخيرات أفضل مايعطى السائلين ، وهذا يدل على أن القرآن والذكر سيان عند الله فى الأجر ، كما يدل على أن مؤدى كل منهما لا يختلف عن مؤدى الآخر ، فى استنزال رحمات الله ، وإعطاء العبد من الخير أفضل ما يعطى الله السائلين .

ولما كان القرآن فاضلا غير مفضول ، صرف الذكر إلى القرآن ، الذى يفضل كل شىء من الأقوال والأفعال .

وقد فرّق بعضهم بين الذكر وقراءة القرآن ، فقد قيل أن سعيد بن المسيب سئل : هل قراءة القرآن أعجب إليك أم الذكر ؟ فقال بل قراءة القرآن ، وقد قيل فى هدى السلف : أنهم كانوا يذكرون الله قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ، ولكن يقال : لعل يذكرون بمعنى يقرءون القرآن ، لأن الله تعالى قد سمى كتابه العزيز ذكرا فقال : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) وقال : (وهذا ذكر مبارك أنزلناه) وقال ﷺ : (أعبد الناس أكثرهم تلاوة للقرآن) .

وقد سئل ابن عباس رضى الله عنه أى الأعمال أفضل ؟ فقال : ذكر الله أكبر . ما جلس قوم فى بيت من بيوت الله ، يدرسون كتاب الله تعالى ويتعاطونه بينهم ، إلا كانوا أضياف الله تعالى ، وأظلتهم الملائكة ماداموا فيه حتى يخوضوا فى حديث غيره . قال القرطبى فهذا ابن عباس رضى الله عنه ، قد فسر الذكر بقراءة القرآن ، وذكر الطبرى أن عون بن عبد الله بن عتبة بن

مسعود قال : أتينا أم الدرداء نتحدث إليها ، ثم قلت لها يا أم الدرداء لعلنا أمللناك ، قالت أمللتمونى !!! والله لقد التمست العبادة فى كل شىء ، فما وجدت شيئاً أشفى لنفسى من مجلس الذكر. قال ثم احتبت ثم قالت لرجل اقرأ :(ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون) فدل هذا الخبر على أن الذكر هو القرآن .

والمتقون متفقون ، على أن فى القرآن غنى عن مجموعات الأوراد والأذكار، التى جمعها بعض المتصوفة من الكتاب والسنة ، وفيه أيضا غنى عن كتب الأدعية التى تتعلق بمراد النفس ، من طلب الغنى والسعادة والسلامة من الشرور ، فهى مأخوذة من الكتاب والسنة ، وفيه أيضا غنى عن كتب أعمال اليوم والليلة ، لأن مأخذها الكتاب والسنة .

فالقرآن هدى وتفصيل لكل شىء ، وأعم من ذلك كله وأتم ، وما السنة إلا تفسير للقرآن العظيم ، فلا يعمل بها ما لم يؤيدها القرآن .

والقرآن الكريم كنز الحقائق ودليل خيرى الدنيا والآخرة ، وقاموس الأدب واللغة والعلم النافع ، والحل الأخير لمشاكل الدنيا ، فإذا تدبره القارىء استشعر عظمة الله وقدرته ، ورق قلبه عند آيات الغفران ، وسؤال الله الخير، والاستعاذة من الشر ، وسعد بقراءته سعادة لم يسعدها بغيره ، وفاز باستجابة دعائه .

وإذا كان لكل أحد أن يدعو بما يعجبه من الأدعية ، فلا شك أن القرآن هو الذى يعجب الداعى قبل غيره ، فالقارىء يطلب من ربه الكريم ، بكلامه القديم الحكيم ، الذى أعجز البشر ، لا بكلام البشر .

والذى يتلو القرآن بتدبر يجد نفسه فى مقام الدعاء والابتهال إلى الله والتذلل أمام عظمته ليعطيه الخير ويدفع عنه الشر — يجد نفسه فى مقام الدعاء — فى كثير من الآيات حين التلاوة مثل قوله تعالى : —

[ربنا تقبل منـا إنك أنت السميع العليم (البقرة ١٢٧) . ربنا واجعلنـا مسلمَين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم (البقرة ١٢٨) ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار (البقرة ٢٠١) ربنـا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنـا ولا تحمل علينـا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنـــا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين (البقرة ٢٨٦) . ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة أنك أنت الوهاب (آل عمران ٨) : وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا أغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنـا وانصرنا على القـوم الكافرين (آل عمران ١٤٧) . الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عـذاب النار (آل عمران ١٩١) . ربنا أخرجنا من هـذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعـل لنا من لدنك نصيرا (النساء ٧٥) . على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين (الأعراف ٨٩) . ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين (الأعراف ١٢٦) . ربنا إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئـدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشـكرون (إبراهيم ٣٧) . ربنا آتنا من لدنك رحمـة وهيء لنا من أمرنا رشـدا (الكهف ١٠) . والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين وأجعلنا للمتقـــين إماما (الفرقان ٧٤) . ربنـا أتمم لنـا نورنا وأغفر لنـا أنك على كل شيء قـــدير (التحريم ٨)] . وما المعوذتان إلا استعاذة بالله من الشرور ، فإذا انتفع القارىء بتلاوة القرآن ووجه قلبه إلى الله وسأله بما يتلوه من كلامه القـديم أعطاه مايريد ودفع عنه ما يكره فالقرآن الكريم يشمل مرادات الناس جميعـا ولا سيما من

كان على الفطرة الأصلية: الإسلامية . أخرج الترمذى أن عمران بن حصين قال سمعت رسول الله ﷺ يقول (من قرأ القرآن فليسأل الله فأنه سيجيء أقوام يقرءون القرآن يسألون به الناس) وهذا ما يسر الله بفضله فله الحمد أولا وآخراً .

حسن عبد اللطيف عزام

استدراك يتبع صفحة ٣٣

عند مالك والشافعى رضى الله عنهما : يدعو المصلى بماشاء فى صلاته من أمور الدنيا والآخرة لما روى الستة من حديث ابن مسعود فى التشهد : (ثم ليتخير أحدكم من الدعاء أعجبه إليه فيدعو به) وروى الإمام أحمد عن ابن مسعود أن النبى ﷺ علمه التشهد فكان يقول إذا جلس فى وسط الصلاة وفى آخرها على وركه اليسرى : التحيات لله إلى قوله عبده ورسوله ، ثم قال إذا كان فى وسط الصلاة نهض حين يفرغ من تشهده وإذا كان فى آخرها دعا بعد تشهده بما شاء أن يدعو ثم يسلم .

وقال الحنفية يدعو المصلى فى صلاته بما يشبه ألفاظ القرآن : ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة ... الخ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا...الخ ، وما أشبه ذلك ولا يدعو بما يشبه كلام الناس وهو ما لا يستحيل طلبه منهم مثل اللهم اكسنى اللهم زوجنى فلانة فأن دعا بمثل ذلك قبل القعود الأخير قدر التشهد فسدت صلاته وإذا دعا بمثل ذلك بعد القعود الأخير قدر التشهد لا تفسد بل تكون ناقصة وللحنفية قوله عليه الصلاة والسلام : (إن صلاتنا هذه لا يصلح فيها شىء من كلام الناس) رواه مسلم وهو عندهم يعارض الحديث السابق أو يقدم عليه لأنه مانع وذلك مبيح .

مصادر التأليف

(١) الترغيب والترهيب للمنذرى

(٢) عمل اليوم والليلة لابن السنى

(٣) الأذكار للنووى

(٤) لطائف المعارف لابن عبد البر

(٥) الحصن الحصين للجزوى

(٦) الكلم الطيب لابن تيمية

(٧) سهام الإصابة فى الدعوات المستجابة للسيوطى

(٨) شرح الحصن الحصين للشوكانى

(٩) الدعاء لابن أبى الدنيا القرشى

(١٠) شرعة الإسلام لمحمد بن أبى بكر المفتى

(١١) لوامع البينات فى شرح أسماء الله والصفات للفخر الرازى

(١٢) حجة الله البالغة للدهلوى : ولى الله شاه

(١٣) المقصد الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى للغزالى

(١٥) التذكار فى أفضل الأذكار للقرطبى

(١٥) شرح منية المصلى

الفهرس

تابع الفهرس

تابع الفهرس

تصويب

وقع فى صفحة ٣٦ سطر ٦ الأوقات الخمس وصحتها الصلوات الخمس

تم بحمد الله وتوفيقه

للمــــؤلف

(١) غاية المأمول فى أسرار الفعل الموصول	(طبع)
(٢) سبعة أجزاء من قاموس التلميذ	(طبع)
(٣) ما للغزالى وما عليه فى القول المنسوب إليه : ليس فى الإمكان أبدع مما كان	(طبع)
(٤) الليلة المباركة وما اشتبه على الناس من أمرها	(طبع)
(٥) إكمال قاموس التلميذ	(تحت الطبع)


Bibliotheca Alexandrina
0589539